روديجر شميدت
كورد سبريكيلسن

Telegram:@mbooks90

NIETZSCHE

FÜR ANFÄNGER

فلسفة نيتشه للمبتدئين

هذا هو الإنسان

ترجمة روضة حسام

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فَلسَفة نِيتشَه لِلمُبتَدِئِين

هذا هو الإنسان

رودیجر شمیدت وکورد سبریکلیسن

ترجمة/ روضة حسام

الطبعة الأولى، القاهرة 2024م

غلاف: محمد دربالة

تدقيق لغوي: محمود تركي

رقم الإيداع: 7281 / 2024

I.S.B.N: 978-977-488-861-1

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل من الأشكال، أو وسيلة من وسائل نقل المعلومات، ولا يجوز تداوله إلكترونيًا نسخًا أو تسجيلًا أو تخزينًا، دون إذن خطي من الدار

اكتب

دار اكتب للنشر والتوزيع

العنوان : 12 ش عبد الهادي الطحان ، من ش الشيخ منصور، المرج الغربية ، القاهرة ، مصر

هاتف : 01111947957

بريد إلكتروني : daroktob1@yahoo.com

جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي دار النشر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كتب فريدريك نيتشه عقله الفلسفي "هذا هو الإنسان" في عام ٨٨/١٨٨٩، ولكن لم يخرج هذا العمل إلى النور سوى عام ١٩٠٨ -أي بعد وفاة كاتبه- يعد هذا الكتاب سيرة ذاتيّة مُتأخرة لنيتشه، كما أنه ذو أهمية خاصة بسبب كونه مُفسّرًا لأعمال نيتشه الأخرى، ولكن بالرغم من ذلك فإنّ اللهجة المُبهجة والمُثيرة للنص تتطلب خبرة خاصة ومعرفة سابقة بالكاتب وأعماله الأخرى؛ لكي تتمكن من فهمها.

ستجد في هذا الكتاب الرفيق المثالي في رحلة قراءتك لسيرة فريدريك نيتشه الذاتيّة، حيث سيقدم لك كل الآليات اللازمة؛ لكي تغدو قادرًا على قراءة هذا النص الفسلفي بنفسك بكل سهولة ويُسر.

نشر المؤلفان سابقًا كتاب "فلسفة نيتشه للمبتدئين، مدخل لقراءة هكذا تكلّم زرادشت".

مُنح روديجر شميدت درجة الدكتوراه في أعمال نيتشه المُبكرة، وشغل منصب رئيس كلية فريدريك نيتشه في فايمار منذ عام ١٩٩٩.

درس كورد سبريكيلسن الفيزياء والفلسفة في هايدلبرغ، وترأس قسم النظم القائمة على المعرفة في معهد المعلومات الطبيّة بالجامعة الراينيّة الفستفاليّة العُليا بآخن.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الأول
قطعة أدبيّة مُذهلة للغاية

الأقنعة والشَّظايا:

"في هذه الأثناء، تُحلّق قطعة أدبيّة مُذهلة للغاية، والتي تحمل عنوان "هذا هو الإنسان، كيف تُصبح ما أنت عليه"، تجاه لايبزيغ، هذا الإنسان هو أنا تحديدًا، حيث تبدو لي مُحاولة تسليط بعض الضوء على ذاتي ونشر القليل من الرعب عن نفسي ناجحة جدًا، فعلى سبيل المثال، يحمل أحد الفصول عنوانًا غير سار: "لماذا أنا مُميت؟"(1) .

في ١٤ نوفمبر ١٨٨٨، أي بعد شهر تقريبًا من بدء نيتشه في كتابة "هذا هو الإنسان"، كانت هذه "القطعة الأدبيّة المُذهلة للغاية" في طريقها بالفعل إلى ناشره ناومن في لايبزيغ، وتعد عناوين فصول هذا الكتاب مُريبة واستفزازيّة، حيث يُقدّم الفيلسوف نفسه بكلمات مثل "لماذا أنا حكيم جدًا؟"، كما يوصي بنفسه في النهاية من خلال فصل "لماذا أنا مُميت؟".

Telegram:@mbooks90

أفاد نيتشه في هذه الرسالة المُقتبسة أعلاه -بطريقة شبه ساخرة- أنّ كتابه حلّق إلى لايبزيغ، وأظهر تقييمه لعنوان إحدى الفصول بأنه "غير سار" مدى وعيه باستفزازيته، وبالرغم من ذلك، لا يزال نيتشه يصف عمله بأنه "جيد جدًا تقريبًا"، وكما هو الحال في كتاباته الأخرى، اختار نيتشه صيغة بعناية وعن عمد، ولعب لعبته اللغويّة تلك، مثلما اعتاد اللعب مع قُرّائه في أعماله الأخرى، في كتاب "هذا هو الإنسان" أكثر من المُعتاد بقليل.

يُمكننا قراءة فجاجة بعض صيغ كتاب "هذا هو الإنسان" على خلفية مقطع صاغه نيتشه في كتاب "ما وراء الخير والشر": "إنّ كل ما هو عميق يعشق الأقنعة، وتمقت الأشياء الأعمق الصور والمُثل، أليس التناقض هو التنكر الحقيقي المُصاحب لحياء الإله؟ سؤال جدير بأن يُسأل، وكان سيعد أمرًا غريبًا لو لم يجرؤ على سؤاله أحد من المتصوفين، هناك مُجريات ذات طبيعة حساسة للغاية، بحيث يحسن المرء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صنعًا بطمرها تحت فظاعة ما، ومواراتها عن الأنظار تمامًا، وثمة أفعال حب وشهامة مُفرطة، يُستحسن -على إثرها- أخذ العصا وإشباع شاهد العيان ضربًا، فبهذا تتشوش ذاكرته، يتقن البعض تشويش ذاكرته الخاصة والتنكيل بها بهدف الانتقام على الأقل من هذا الشريك الوحيد، إنّ الحياء مُبتكر، ليست أردأ الأمور هي ما نستحي منه، فوراء الأقنعة لا يوجد مكر وحسب بل يوجد في الحيلة الكثير من الرفق كذلك، يمكنني أن أتخيل الشخص، الذي يملك شيئًا ثمينًا ورقيقًا، يتدحرج عبر الحياة بغلظة وبشكل دائري مثل برميل نبيذ عتيق أخضر اللون ومصفح، إنّ رقة حياءه تُملي عليه ذلك، ويلاقي الإنسان العميق الحياء قدره وقراراته الرقيقة أيضًا على دروب لا يبلغها إلا القلة القليلة من الناس، والتي لا يُسمح لأقرب الناس له وأكثرهم ثقة بمعرفة وجودها، فيبقى الخطر الذي يُهدّد حياته مخفيًا عن أنظارهم، مثلما يبقى أمن حياته مخفيًا، إذا استطاع الفوز به من جديد، يستعمل مثل هذا الشخص المُتخفي الكلام فطريًا للصمت والكتمان، ويُشبه بئرًا لا ينضب من وسائل الهروب من التواصل، فلا يرغب فقط أن يتجوّل قناع له في قلوب أصدقائه وعقولهم عوضًا عنه بل ويشجع على ذلك أيضًا، وبفرض أنه لا يريد ذلك، فإنه سوف يفتح عينيه ذات يوم ليدرك أنه لا يزال لديه قناع له، وأنّ هذا الأمر جيد، فكل روح عميقة بحاجة إلى قناع، بل وأكثر من ذلك أيضًا، ينمو قناع باستمرار حول كل روح عميقة، وذلك بفضل التأويل الخاطئ المُستمر، أي التأويل السطحي لكل كلمة، لكل خطوة، لكل مؤشر حياة يبدر منها"(2). .

"يُمكنني أن أتخيّل الشخص، الذي يملك شيئًا ثمينًا ورقيقًا، يتدحرج عبر الحياة بغلظة وبشكل دائري مثل برميل نبيذ عتيق أخضر اللون ومصفح [...]" حتى أفكار نيتشه الخاصة يمكن فهمها على أنها أشياء ثمينة ورقيقة للغاية، إنّ تعقيدها وثراءها بالفروق الدقيقة هو ما يجعلها ثمينة ورقيقة للغاية في الوقت ذاته، تهدد صيغ نيتشه الراديكالية أو الرائعة -خاصّة التي أُخرجت من سياقها- بالتّحوّل إلى رسوم كاريكاتوريّة لتفكيره، الذي غالبًا ما يكون عملًا متوازنًا بين الأضداد أو التناقضات.

تناول نيتشه في هذا المقطع نوعين مختلفة للأقنعة: الأقنعة التي يتم ارتداؤها كقناع وقائي أو مخجل، والأقنعة التي تنمو حتمًا "حول كل روح عميقة".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لفت نيتشه الانتباه إلى مشكلة التأويل من خلال الإسناد المُتناقض بين "الروح العميقة" و"التأويل السطحي"، فلا يمكن إيصال مفهوم الفرديّة والسلوكيات والتجارب الخاصة، أو حتى الفريدة بطريقة مفهومة بشكل عام، تُفقد الكلمة الخاصة بشكل عام، ولا توجد أي كلمة تصف كلمة فريدة دون أن تصف شيئًا آخر أيضًا، وبالتالي تفوت مقصد الكلمة الفريدة نفسها، وإذا ما نظرنا من خلال منظور متوسط، ستغدو كل الكلمات الخاصة سطحيّة.

لذلك، يظهر سوء الفهم العام كقناع بشكل لا إرادي وحتمي، خاصة أمام الأشخاص ذوي الشخصيات القوية والمُعقدة، يثبت سياق نيتشه الفكري حتمية هذا القناع، ولكنه يترك المجال مفتوحًا أمام إمكانية المُساعدة في تشكيل هذا القناع؛ لإجراء تصحيحات لسوء الفهم العام والحتمي.

يُمكننا على الأقل قراءة الفجاجة الواضحة في صيغ كتاب "هذا هو الإنسان" بقدر أكبر من الحذر والتحفظ من خلال اعتباره قناعًا، ولكن لا ينبغي لفكرة القناع هذه أن تقود المرء إلى الاعتقاد، بأن تصور نيتشه لذاته هو مجرد تمويه أو سوء فهم، كتب نيتشه إلى ناشره ناومن في عام ١٨٨٨:

"هكذا، بين ١٥ أكتوبر و٤ نوفمبر، قمتُ بحل مهمة صعبة للغاية، ألا وهي سرد نفسي، وآرائي، مجزأة بقدر ما كان من الضروري سرد حياتي، أعتقد أنّ هذا سوف يُسمع، رُبّما أكثر من اللازم.، وبعدها سيغدو كل شيء على ما يُرام"(3)، .

رتّب نيتشه هذه الشظايا من حياته، وأفكاره، وشخصيته بهدف إنشاء تصور ذاتي عن نفسه، وكأنها مرآة مكسورة يتعرف بها على نفسها، "سوف يراني الناس جميعًا زمرة واحدة"(4)، ، رغب نيتشه في جعل نفسه مرئيًا ومسموعًا، "رُبّما أكثر من اللازم.، وبعدها سيغدو كل شيء على ما يُرام".

***

الكلمات الختاميّة:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يعد كتاب "هذا هو الإنسان" وقصائد "ديونيسوس - ديثيرامنبس" -ذات القوافي الحرة- آخر الكتابات التي أعدها نيتشه نفسه للطباعة والنشر، ففي ٤ يناير ١٨٨٩ تعرّض نيتشه لانهيار عصبي في ساحة كارلو ألبرتو في تورينو نتيجة لمرض الزهري العصبي، ممّا أدّى لتوقف إنتاجه الأدبي فيما عدا مجموعة صغيرة من الرسائل القصيرة التي كتبها بعد انهياره، والتي عُرفت فيما بعد باسم "رسائل الجنون".

حدث جدل منذ البداية حول كيفية تقييم كتاب "هذا هو الإنسان"، هل يجب اعتباره نصًا جديًا لنيتشه بالفعل؟ أم مجرد تعبير عن الانهيار الفكري الوشيك؟

يبدو أنّ مثل هذا التقييم الذاتي التالي يُشير بالفعل إلى الانهيار الوشيك: "إنّ الأفراد العظماء هم الأكبر سنًا، لا يمكنني فهم ذلك، لكن يوليوس قيصر يمكن أن يصبح والدي - أو الإسكندر، أو ديونيسوس [...]"(5) .

وعلى الرغم من ذلك، فقد تميّز نيتشه بالفعل بالأفكار المُتطرفة والصيغ الوقحة، فيمكننا مُقارنة ذلك مع المسودة التالية التي كتبها في عام ١٨٨١، أي قبل سبع سنوات من نشأة "هذا هو الإنسان": "أنا لست بحاجة للشهرة، إنّ اعتزازي بما لديّ من أصول فكريّة يكفيني، أنا أعيش الآن بالفعل ما أثار زرادشت، وموسى، ومحمد، وعيسى، وأفلاطون، وبروتوس، وسبينوزا، وميرابوا، وبداخلي بعض الأشياء التي استغرقت آلاف السنين حتى تصبح جاهزة، ولم تستطع الخروج إلى النور إلا الآن"(6). .

هنالك شيء واحد على الأقل غير قابل للجدال فيما يتعلق بكتاب "هذا هو الإنسان" ألا وهو أنّ نيتشه لم يؤلف الكتاب فقط بل راجع وصحح النسخة الأولية له أيضًا، وأعاد صياغة أجزاء كثيرة منه بعناية فائقة للغاية، قال مازينو مونتيناري، القارئ الأكثر دقة لنيتشه: "من المؤكد أنّ نيتشه فقد "وعيه الكتابي" في النهاية"(7). .

أعاد مونتيناري بناء المخطوطة المطبوعة بدقة، فغدا من المعروف بالنسبة لبعض المقاطع متى صاغها نيتشه بالضبط، أولًا في بداية أكتوبر ١٨٨٨، كتب نصًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يتكون من إحدى عشرة فقرة قصيرة تحمل عنوان "هذا هو الإنسان/ أو لماذا أعرف الكثير"(8)، أخذ نيتشه ثلاثة من هذه الفقرات (٧ و٨ و٩) وأضافها كفصل منفصل إلى كتابه "أفول الأصنام"، حصل على هذا الفصل الجديد من "أفول الأصنام" من المطبعة في ٢٤ أكتوبر، وفي هذه الأثناء، أعاد نيتشه ترتيب باقي الفقرات الموجودة وصاغ فقرات أخرى ومن ثم أخرج "هذا هو الإنسان" إلى النور، ففي ٦ نوفمبر، أبلغ نيتشه ناشره ناومن أنه قام بإعداد كتاب جديد في الفترة ما بين ١٥ أكتوبر و٤ نوفمبر، وصلت المخطوطة إلى المطبعة قبل ١٥ نوفمبر، وطالب نيتشه بإعادتها من لايبزيغ في بداية ديسمبر، يمكننا تتبع التغييرات التي أجراها عليها بحلول ٦ ديسمبر بالتفصيل، وكذلك يُمكننا تتبع الإضافات اللاحقة بالتفصيل أيضًا، والتي يرجع تاريخ آخرها إلى ما قبل انهيار نيتشه بيومين(9).

تكمُن أهمية التأريخ الدقيق أيضًا في أنَّ التغييرات في مزاج نيتشه، والتي يُمكننا استنتاجها من رسائل نيتشه، قد ترتبط بالتغييرات في نص "هذا هو الإنسان".

عبّرت لهجة رسائل نيتشه في بداية عمله على "هذا هو الإنسان" -حسب وصف مازينو مونتيناري- في بعض الأحيان عن "نشوة مخيفة"، وبالرغم من ذلك، لم تشمل كل رسائل نيتشه هذه النشوة، ابتداءً من منتصف نوفمبر، عبر نيتشه في رسائله عن شعوره المُستمر بالغبطة بسبب عظمته التاريخيّة، ولكن في النصف الثاني من ديسمبر، أصبحت لهجة ومحتوى الرسائل أكثر موضوعية إلى حد ما.

لخص مونتيناري تأثير ذلك على نسخة الطباعة الأولية لكتاب "هذا هو الإنسان" على النحو التالي: "عكست إعادة صياغة نيتشه لنسخة الطباعة الأولية، والتي طلب إعادتها من لايبزيغ في بداية ديسمبر، تفاقم شعوره بأنه شخص مميت"(10).

تتعلّق التغييرات ابتداءً من ديسمبر ١٨٨٨ بمقاطع مُتفرقة تظهر في النص بأكمله، قام نيتشه بتغيير الصيغ، وحذف واستبدال بعض المقاطع الفرديّة وإدراج مقاطع جديدة، وبالرغم من ذلك، فقد حافظ على الانسجام الأدبي والتكوين الصارم للنص، نظرًا لهذا الانسجام وهذه الدقة، التي ظلّ نيتشه ملتزمًا بها أثناء تعديله للنص، فإنه من غير المُباح لنا أن نعترض على بعض تعديلاته بالإشارة إلى جنونه المؤقت، ففي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النهاية، دمج نيتشه هذه الصيغ المُعدّلة بشكل مختلف في نص واحد للمرة الأخيرة، والذي عُرف بـ"هذا هو الإنسان".

***

النص المحذوف:

في بداية شهر فبراير ١٨٩٢، زار بيتر غاست الناشر ناومن في لايبزيغ، ونيابةً عن إليزابيث فورستر-نيتشه، تسلّم بيتر غاست النسخة الأولية لكتاب "هذا هو الإنسان"، والتي كانت محفوظة في مكتب ناومن لمدة ثلاث سنوات، صاغ بيتر في رسالته المرسلة إلى أخت نيتشه: "حسنًا لنكن سعداء بحصولنا عليها! ولكن يجب علينا تدميرها في أقرب وقت"(11).

ومن ثم أضاف بيتر: "حتى ولو كان من الواضح أنها كتبت بالفعل في حالة من الجنون التام، سيتواجد دائمًا أولئك الأشخاص الذين سيقولون: هذا هو بالضبط سبب أهميتها، لأنّ الغرائز هي ما تتحدّث هنا بصدق تام دون خجل!"(12).

واصلت إلزابيث خلال السنوات التالية جمع كل مذكرات شقيقها لصالح أرشيف نيتشه الذي أسسته، وأرسلت لها رسائله من جميع أنحاء أوروبا، لا يوجد أي أثر للنسخة من لايبزيغ في مقتنيات الأرشيف، بل تحتوي فقط مذكرات نيتشه من تلك الفترة على مسودتين طويلتين مكتوبتين بخط اليد حول هذا النص، ولذلك يصعب قراءة أي من هاتين المسودتين.

وفي يوليو ١٩٦٩، عثر مازينو مونتيناري في مُقتنيات بيتر غاست، والتي دُمجت الآن في أرشيف جوته وشيلر التابع لمؤسسة فايمار الكلاسيكية، على وثيقة تحمل عنوان: "نسخة من ورقة أرسلها نيتشه، وهو في حالة من الجنون التام، إلى ناومن أثناء طبع كتاب "هذا هو الإنسان"، حذفت عبارة "وهو في حالة من الجنون التام"(13).

من المفترض أنه بعد عام ١٩٠٩، قام غاست، وهو أحد الأشخاص القلائل الذين كانوا على مقربة من فريدريك نيتشه في السنوات الأخيرة قبل انهياره، بالتراجع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عن خضوعه وخنوعه لأخت نيتشه، ونُشر حينها للتو المجلد الخامس من "الرسائل المجمعة" الخاصة بنيتشه، والذي تضمنت رسائله إلى والدته وأخته، وكما تُظهر المخطوطات، فقد حاولت إليزابيث فورستر- نيتشه الحفاظ على شرعيتها كمسؤولة عن إرث أخيها الأدبي من خلال استخدام كلمات وصيغ مزورة.

إذا قُرئت هذه الورقة المخفية على أنها تصريح حقيقي من نيتشه قبيل انهياره، فمن الممكن بسهولة أن يُصبح لها عواقب وخيمة، حيث تحتوي على مقطع، أُدرج الآن في القسم الثالث من فصل "لماذا أنا حكيم جدًا؟"، دل على بُعد شديد عن الأم والأخت: "عندما أبحث عن أعمق نقيض لنفسي، عن خسة الغرائز التي لا تحصى، لا أعثر إلا على أمي وأختي، إنّ الاعتقاد بأنني ما زلت على صلة بهولاء الأوغاد سيكون بمثابة إساءة لألوهيتي، تُثير المعاملة التي تلقيتها من أمي وأختي في نفسي رعبًا لا يوصف حتى هذه اللحظة؛ لقد اعتقدت أنهما شيطانتان قادمتان من الجحيم، فلا تخطأن أبدًا في تحديد اللحظة التي يمكن أن تُصيباني فيها بجروح دامية، أي في أفضل لحظاتي، لأنه لا يوجد فيها أي قوة للدفاع عن النفس ضد تلك الديدان السامة.، ولكنني أعترف بأنّ أشد مُعارضة لفكرتي العميقة "العودة الأبدية"، تنبع من الأم والأخت دائمًا"(14).

تُشير القسوة المُذهلة لهذا المقطع إلى وجوب ربطه بالانهيار العقلي الوشيك لنيتشه، ويمكننا تفسير هذه الثورة ضد الأم والأخت على أنها ظهور متأخر لأعمق جرح شعر به نيتشه في حياته.

قبل ما يقرب من سبع سنوات، عثر نيتشه في لو سالومي، وهي امرأة روسية شابة تعرّف عليها في روما، على شخص يفهمه ويرى نفسه فيه: "[...] لا يمكن لشخصين أن يكونا أوثق صلة ممّا نحن عليه [لو ونيتشه]"(15).

"وأخيرًا، عزيزتي لو، أكرر رجائي القديم العميق والصادق: كوني ما أنتِ عليه!"(16).

طلب نيتشه من صديقه بول ري، والذي كان مُغرمًا بـ"لو" أيضًا، بالتوسط له في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

طلب يد "لو" للزواج، رفضت "لو" الزواج من نيتشه، وبالرغم من ذلك، حدث تبادل فكري مُكثف لفترة طويلة في الصيف خلال زيارة "لو" إلى تاوتنبورغ، حيث قامت شقيقة نيتشه بالتشهير بـ"لو"، ولاحقًا بري أيضًا، نتج عن ذلك جدالات حادة وعنيفة بين نيتشه وأخته وأمه:

"للأسف، أصبحت أختي عدوة لدودة للو [...]، باختصار، تقف "فضيلة" ناومبورغ ضدي، وهناك قطيعة حقيقة بيننا، حتى أن أمي قد نسيت نفسها في لحظة ما وتفوهت بالكلمة التي دفعتني إلى حزم حقائبي والتوجه إلى لايبزيغ في الصباح الباكر"(17).

انتهت صداقة نيتشه مع بول ري ولو سالومي بعدما شهرت بهما أخت نيتشه بوقت قصير، باتت عزلة نيتشه بعد ذلك شديدة للغاية، كتب نيتشه إلى أخته في رسالة من ربيع عام ١٨٨٥ -أي بعد ثلاث سنوات: "إذا كنت قد غضبت منكِ كثيرًا، فذلك لأنكِ أجبرتني على التخلي عن آخر الأشخاص الذين كنت أستطيع التحدث معهم دون تزييف، أمّا الآن فأنا وحدي تمامًا"(18).

توجد بالفعل في هذه الرسالة صيغ لا تقل فجاجة عن تلك الموجود في كتاب "هذا هو الإنسان": "إنّ إحدى الألغاز التي أفكر فيها دائمًا هي كيف من الممكن أن نكون أقارب بالدم"(19).

يرفض نيتشه مرة أخرى تلك القرابة في هذا النص التالي المحذوف من كتاب "هذا هو الإنسان"، حيث ينأى بنفسه بعيدًا عن ألمانيا والألمان، لدرجة اتخاذه أصل جديد له: "وهنا أتطرق إلى مسألة العرق، أنا نبيل بولندي خالص، لا يوجد في دمي أي قطرة دم فاسدة، ولا سيما ألمانيا"(20). ، على الرغم من انتشار الشائعات في عائلة نيتشه حول حقيقة وجود أسلاف بولنديين لوالده، إلا أنه ينبغي قراءة هذه الجملة في المقام الأول كمجرد تعبير رمزي، ويوجد لها العديد من المُتشابهات في كتاب "هذا هو الإنسان"، خاصةً تعليق نيتشه على كتابه "قضية فاغنر"، والذي يعد بمثابة هجوم شرس على القومية الألمانية ومُعاداة السامية والثقافة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الألمانية المعاصرة والميل نحو الخداع الفكري، وهو ما شخصه نيتشه في التاريخ الفكري الألماني من خلال هذه الجملة: "لا يرغب المرء في أن يكون واضحًا بشأن نفسه"(21). .

سيظل نيتشه محقًا بشدة في نقطه واحدة على وجه الخصوص ألا وهي كرهه للألمان، خاصة في ضوء محاولات النازيين لضمه إلى صفوفهم: "لقد أحرجني الألمان كثيرًا حتى الآن، وأشك في أنهم سيفعلون ما هو أفضل في المستقبل". (22) .

"انظروا، هذا هو الإنسان..": "هذا هو الإنسان أو: لماذا أعرف الكثير، بقلم فريدريك نيتشه"(23).

تلك هي إحدى مسودات العنوان الأولى، التي كتبها نيتشه أثناء عمله على كتاب "هذا هو الإنسان"، ومن خلال عدة مسودات أخرى مثل "المرآة/ المحاولة/ التقييم الذاتي"، و"حول سبب حياتي" و"فريدريك نيتشه عن حياته"(24). ، تم توضيح مجموعة من المواضيع التي تقع بين التأمل الذاتي الفلسفي والعرض الذاتي للسيرة الذاتية.

في النهاية استقر نيشته على "هذا هو الإنسان" كعنوان رئيسي لكتابه، يعد هذا العنوان بمثابة اقتباس من العهد الجديد، وتحديدًا من إنجيل يوحنا: "فقال لهم بيلاطس: انظروا، هذا هو الإنسان".

إنّ الوضع الذي تقال فيه هذه الكلمات -بحسب الوصف الوارد في إنجيل يوحنا- متوتر، ففي الليلة السابقة أمر رجال الدين في القدس باعتقال المسيح، وفي الصباح الباكر قدم رئيس الكهنة قيافا نفسه إلى الوالي الروماني بيلاطس البنطي، وكان هذا الوالي هو المسؤول عن القضاء، وخاصة أحكام الإعدام، طلب قيافا من بيلاطس إعدام المسيح بتهمة الخيانة العظمى، أي محاولة إعلان نفسه ملكًا، استجوب بيلاطس المسيح في مكتبه دون أن يجد أي تأكيد للتهمة، وعندما أخبره المسيح أثناء الاستجواب أنّ هدف حياته هو "أن يشهد للحق"، أجابه بيلاطس بسؤال مُتعمن:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"وما هو الحق؟"، ثم عرض على الحشد المُنتظر في الخارج العفو عنه، ولكن رفض الحشد بغضب شديد هذا العفو.

لذلك أمر بيلاطس بتعذيب المسيح، ولم يكتفِ الجند الرومان بجلده فقط، بل جدلوا له تاجًا من الشوك، وألبسوه رداء أرجوانٍ كنوع من السخرية بوصفه ملكًا، قرر بيلاطس أن يُظهر المتهم وهو في هذه الحالة، ليثبت أنه حتى تحت التعذيب، لم تظهر عليه أي دلائل جديدة لصالح الاتهام: "ها أنا أخرجه إليكم لتعلموا أني لا أجد فيه علة واحدة".

وفي اللحظة التي خرج فيها المُعذب بإكليل من الشوك وثوب الأرجوان، توجّه بيلاطس مرة أخرى إلى الجمع وقال لهم: "هذا هو الإنسان"، وفي اللحظة التالية تحول المنتظرون إلى حشد من الغوغاء يصرخون مُطالبين بتنفيذ عملية الصلب.

عرف نيتشه بالضبط أصل هذا الاقتباس، فقبل وقت قصير من كتابة "هذا هو الإنسان"، ذكر نيتشه في كتابه "نقيض المسيح" بيلاطس، الوالي الروماني: "هل ينبغي عليّ أن أقول مجددًا بأنه لا يوجد في العهد الجديد بأكلمه غير شخصية واحدة جديرة بالاحترام؟ إنه بيلاطس، الوالي الروماني"(25).

وفي هذا السياق، لمح نيتشه أيضًا إلى رد بيلاطس المُختصر على ادعاء عيسى بالشهادة للحق: "أغنت السخرية الراقية للرجل الروماني، الذي جري أمامه استخدام وقح لكلمة "الحق"، العهد الجديد بالكلمة الوحيدة التي لها قيمة، فهي ليست نقدًا له فقط، بل إبادة له أيضًا: "ما هو الحق!"(26).

إنّ اختيار هذا العنوان لعمل السيرة الذاتية هو في المقام الأول إهانة متعمدة للمسيحية، فبنفس الكلمات التي شخر بها من المسيح، قدّم بها نيتشه نفسه هنا، بل حلّ محل عيسى نفسه، ويضع نفسه أيضًا محل الوالي الروماني، الذي شكك في معنى كلمة "الحق".

ولكن تحت هذه الإهانة الصارخة يستقر جانب آخر من تعريف النفس، وهو جانب الشخص المُعذّب، كتب نيتشه في "هذا هو الإنسان" عن مُعاناته (وعن مُعاناة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ريتشارد فاغنر): "لقد عانينا (نيتشه وفاغنر) من كرب شديد، [...] أشد مما يمكن للناس في هذا القرن أن يتحملوه [...]"(27).

يعد "هذا هو الإنسان" بالنسبة لنيتشه بمثابة عرض لإنسان عانى بشدة على يد عصره ومعاصريه وعلى يد نفسه أيضًا.

تركز مسودتان أخريّان للعنوان على ما يبدو للوهلة الأولى أنه جانب مختلف تمامًا: "ملاحظات شخص ممتن في خضم الحياة، لفريدريك نيتشه"(28).

"الدليل المرجعي لهدف حياتي"(29).

هذه ليست نظرة مُعذِّبة، بل نظرة امتنان تقع في خضم الحياة على "هدف حياته"، أي على ما هو ضروري للنجاح، يعد العنوان "في خضم الحياة" إشارة إلى التأويل الذاتي الموجز والرائع، الذي قدّمه نيتشه في الكتاب الرابع من "العلم المرح": "في خضم الحياة".

لا، لم تُخيب الحياة ظني، بل على العكس، فقد وجدتها، سنة تلو الأخرى، حقيقية أكثر، مرغوبة أكثر، وغامضة أكثر، بدءًا من اليوم الذي سيطرت عليّ فيه المحررة الكبرى، فكرة أنه مسموح لنا بأن نرى الحياة على أنها تجربة للمعرفة، ليست واجبًا، وليست قدرًا، وليست مغالطة، أما المعرفة نفسها: قد تمثل للآخرين شيئًا مختلفًا، شيئًا مثل سرير للراحة أو الطريق المؤدي إلى سرير للراحة، أو تسلية، أو وقت فراغ، أمّا بالنسبة لي، فهي تُمثل عالمًا من المخاطر والإنتصارات تستطيع فيه المشاعر البطولية أن تمارس رقصاتها بحرية، "الحياة وسيلة للمعرفة"، مع وجود هذا المبدأ في القلب، لا نستطيع العيش بشجاعة فقط، بل يمكننا كذلك العيش بمرح والضحك بسعادة! ومَن ذا الذي سيعرف إذن كيف يضحك جيدًا ويحيا جيدًا إذا لم يصبح ماهرًا أولًا في أن يحارب وفي أن ينتصر؟"(30).

تُعتبر الرؤى والأفكار من الأحداث المهمة وكذلك من "المخاطر والانتصارات" في حياته، في الاقتباس السابق فسّر نيتشه حياته على أنها أداة للمعرفة والإدراك، أو بتعبير أدق: كتجربة، إن عبارة "لا نستطيع العيش بشجاعة فقط، بل يمكننا كذلك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العيش بمرح والضحك بسعادة!" تعبر عن وجود مجموعة كاملة من التجارب المؤلمة والمفرحة في هذه التجربة، كما أن ميزة "أنه عانى بشدة" أكثر من مُعاصريه، هي جزء من التجربة؛ فهي الطريقة التي يعتقد نيتشه أنه يستطيع من خلالها الكشف عن الجوانب الحقيقة والمرغوبة والغامضة للوجود، وتكمن في الشهادة الحقيقية للحق تشابه متأصل مع المسيح مجددًا، والذي قال لبيلاطس أثناء استجوابه: "لهذا قد ولدت أنا، ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق، كل من هو من الحق يسمع صوتي"(31). .

عارض نيتشه هذا التأويل بقوله: أنه لا يريد أن يأتي إلى العالم ليشهد من أجل حقيقة سامية، ويضع مكانه "أسمى إقرار ذاتي"، والذي أصبح متجسدًا في شخصيته: "لكن حقيقتي فظيعة: فحتى الآن قد سميت "الأكاذيب" حقائق، "إعادة تقييم جميع القيم"، لقد أصبحت هذه هي صيغتي النابعة من أسمى إقرار ذاتي غدا في لحمًا وحقيقة، للتعبير عن سلوك البشرية"(32).

وفقًا لتأويل نيتشه الذاتي، تنعكس الإنسانية على نفسها في أصالة تجاربه المعرفية والفكرية، وتبتعد عن الحقائق المثالية والدينية، يُصبح الوجود غرضًا للتفاني الإيجابي الذي يحتضن المُعاناة والغرابة، لا بد من المرور بالعديد من التجارب المختلفة والمعقدة من أجل التعرُّف على كمال الوجود، نظرًا لأنَّ هذه التجارب تنشأ من خلال حياة العارف، فيجب على هذا العارف أن يصبح متعدد الجوانب ومختلفًا حتى يتمكن من إنصاف الوجود، هذا الجانب بالضبط هو موضوع مسودة عنوان أخرى، حيث يتحول العارف إلى شخص "متعدد الجوانب":

"هذا هو الإنسان

سجل التعدُّدية

١- يتحدَّث عالِم النفس.

٢- يتحدَّث الفيلسوف.

٣- يتحدَّث الشاعر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤- يتحدث الموسيقار.

٥- يتحدث الكاتب

٦- يتحدث المربي"(33).

النص التحضيري:

بدأ نيتشه مُقدمة سيرته الذاتيّة الغريبة من خلال الإعلان عن نفسه: "نظرًا لحقيقة أنني سأضطر قريبًا إلى مواجهة البشرية بأعظم مطلب سيُلقى على عاتقهم، يلوح لي أنه لا مفر من أن أعلن هنا مَن أنا"(34)، يعد "هذا هو الإنسان" بمثابة تمهيد لـ"أعظم مطلب سيُلقى على عاتق البشريّة".

تتكرر اللهجة المشؤومة لهذا الإعلان وتتفاقم في الفصل الأخير من "هذا هو الإنسان" "لماذا أنا مُميت": "إنني أعرف مصيري، فذات يوم سوف يرتبط اسمي بذكرى شيء مرعب، سيرتبط بكارثة لم يسبق لها مثيل إطلاقًا، أو سيرتبط بأشد صراع عميق للضمائر بسبب الإدانة الحاسمة لكل ما تم الإيمان به حتى ذلك الحين، إنني لستُ إنسانًا، إنني ديناميت، وبالرغم من كل ذلك، لا يوجد فيّ شيء يوحي بأنني مؤسس ديانة، تعد الأديان من شئون الغوغاء، يجب عليّ أن أغسل يدي بعد الاتصال بأي رجل متدين، أنا لا أرغب في "مؤمنين"، بل أعتقد أنني ممتلئ بالحقد حتى أن أؤمن بنفسي، ولم أجرؤ على مواجهة الجماهير بنفسي أبدًا، أخشى بشدة من أن يتم تقديسي في يوم ما، لذلك تستطيعون أن تخمنوا بسهولة سبب نشري لهذا الكتاب مسبقًا -إنه لمنع الناس من أن يسيئوا فهمي، لا أريد أن أكون قديسًا، بل أفضل أن أكون مهرجًا، وربّما أنا مُهرج بالفعل، وبالرغم من هذا - أو ربّما بالأحرى وليس بالرغم من هذا (لأنه لا يوجد شيء على الإطلاق أكثر زيفًا من القديسين)، إنني صوت الحقيقة، لكن حقيقتي فظيعة، فحتى الآن قد سميت "الأكاذيب" حقائق، "إعادة تقييم جميع القيم"، لقد أصبحت هذه هي صيغتي النابعة من أسمى إقرار ذاتي غدا فيّ لحمًا وحقيقة، للتعبير عن سلوك البشريّة"(35). .

تتروح الحالة المزاجية، التي عبّر نيتشه من خلالها عن صيغه في المقطع السابق،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ما بين الثقة الشديدة بالنفس والسخرية من النفس، تبرز أوجه الشبه في هذا المقطع مع بداية مقدمة الكتاب بشدة، فبدلًا من "المطلب الأعظم"، يتحدّث نيتشه هنا عن "صراع الضمائر" و"الإدانة الحاسمة لكل ما تم الإيمان به حتى ذلك الحين"، كما برر في هذا المقطع نشر كتاب "هذا هو الإنسان" كخطوة احترازية، تهدف إلى منع فهم نيتشه على أنه قائد جديد لـ"المؤمنين": "لذلك تستطيعون أن تخمنوا بسهولة سبب نشري لهذا الكتاب مسبقًا، إنه لمنع الناس من أن يسيئوا فهمي..."، وفي نهاية المقطع أطلق نيتشه على "أعظم مطالبه" اسم "إعادة تقييم جميع القيم".

دُعم تعريف "أعظم مطلب" على أنه "إعادة تقييم" من خلال مقطع كتبه نيتشه في كتاب "هذا هو الإنسان" حول كتابه "قضية فاغنر"، والذي صدر عام ١٨٨٨: "وهكذا بعثت بـ"قضية فاغنر" إلى العالم، قبل حوالي سنتين من الصاعقة المدمرة لإعادة التقييم، والتي ستجعل الأرض ترتعش"(36). ، يذكرنا الشكل الذي اختصر به نيتشه صيغة "إعادة تقييم جميع القيم" هنا بمعالجته لعنوان النص.

استخدم نيتشه عبارة "إعادة تقييم جميع القيم" في وقت مبكر من كتابه "هذا هو الإنسان"، وبالتحديد في الديباجة التي تلت المقدمة، إلى جانب عنوانين من عناوين أعماله الأخرى: "إعادة تقييم جميع القيم، ديونيسوس - ديثيرامنبس، أفول الأصنام، هذه جميعها هدايا هذا العام، حتى الربع الأخير منه!"(37).

وضّح ذلك أنّ "أعظم مطلب"، الذي تحدّث عنه نيتشه في مقدمة الكتاب، يجب أن يصل إلى البشرية في هيئة كتاب، استعد نيتشه لنشر كتابه الجديد "هذا هو الإنسان"، والذي توقع أن يكون تأثيره استثنائيًا، كتب إلى ناشره في ٦ نوفمبر ١٨٨٨: "[...] لا تندهش من أي طلب لي بعد الآن! فعلى سبيل المثال، بمجرد الانتهاء من أفول الأصنام بكل معنى الكلمة، يجب أن نبدأ على الفور بطباعة كتاب جديد، لقد أقنعت نفسي تمامًا بأنني لا زلت بحاجة إلى كتاب آخر، كتاب حُضر له كثيرًا على أعلى درجة من الدقة، حتى أتمكن الآن من الظهور بعد حوالي عام من التحضيرات مع هذا الكتاب الأول لإعادة التقييم [...]، يُسمى الكتاب الجديد "هذا هو الإنسان: كيف تُصبح ما أنت عليه؟"(38).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكما يتبين من الرسالة، خطط نيتشه جيدًا، لجعل "إعادة التقييم" محورًا رئيسيًا في عدة كتب، بناءً على مذكرات نيتشه ودفاتر ملاحظاته، يمكن إثبات أنّ "إعادة تقييم جميع القيم" كان مخططًا له في البداية كعمل مكون من أربعة كتب، ففي أواخر صيف عام ١٨٨٨، حلت خطة العمل هذه محل مشروع كتاب طال انتظاره بعنوان "إرادة القوة"، وكان عنوانه الفرعي هو "إعادة تقييم جميع القيم"، ألّف نيتشه في أواخر صيف وبدايات خريف عام ١٨٨٨ كتابي "أفول الأصنام" و"نقيض المسيح"، ويعد هذا الكتاب الأخير هو أول كتاب تحدّث عن "إعادة تقييم جميع القيم"، تحدّث نيتشه في "هذا هو الإنسان" عن نشأة كتاب "نقيض المسيح": "بمجرد أن أتممت هذا العمل، ودون إضاعة يوم واحد، شرعت في المهمة المرعبة الخاصة بإعادة التقييم بشعور سيادي بالفخر، والذي لا يمكن أن يضاهيه شيء، وفي كل لحظة من لحظات خلودي، حفرت العلامة تلو الأخرى على الألواح البرونزية بيقين القدر والمصير، لقد كتبت المقدمة في ٣ سبتمبر ١٨٨٨: وعندما خرجت في الصباح، بعدما أنهيتها، وجدت أمامي أجمل يوم رأيته فى منطقة الإنجادين العليا على الإطلاق، كل شيء واضح ومتألق بالألوان، كما تضم المنطقة كل التناقضات وكل التدرجات بين الثلج الشمالي والجنوب(39).

يتناسب تقديم نيتشه لنفسه هنا كمُشرّع تاريخي "حفرت العلامة تلو الأخرى على الألواح البرونزية بيقين القدر والمصير" تمامًا مع اللهجة المصيرية التي يتناولها في عدة مواضع في "هذا هو الإنسان".

من الواضح أنّ نيتشه فطن جيدًا أنّ "هذا هو الإنسان" ما هو إلا "كتاب تمهيدي"، لقد كان مُقتنعًا بشدة بمحتوى "إعادة التقييم" المُثير للجدل، فقال في إحدى رسائله إلى بيتر غاست: "لديّ يقين بأن أول كتاب لإعادة التقييم سوف تتم مصادرته قانونيًا على الفور، وأعتقد أنّ معهم كل الحق في فعل ذلك(40).

كان المقصد من "هذا هو الإنسان" أن يكون نوعًا من البالون التجريبي الذي أراد نيتشه أن يختبر به مدى استعداد حرية الصحافة الألمانية للسماح له بنشر "إعادة التقييم": إنه (كتاب هذا هو الإنسان) يدور بجرأة كبيرة حولي وحول كتاباتي، لم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أرغب فقط في تقديم نفسي، بل أرغب في تجربة ما يمكنني استخلاصه بالفعل من مفاهيم الصحافة الألمانية".(41)

في الواقع، لم يخجل نيتشه من الأفكار والصيغ الجريئة التي وضعها بداخل "هذا هو الإنسان"، فيمكن أن يصبح انتقاذا مثل ما يلي هو سبب تفكيره في اختبار حرية الصحافة: "[...] لن أمنح الإمبراطور الألماني الشاب [فيليهم الثاني] شرف أن يصبح سائقي"(42)..

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثاني

هذا هو الإنسان – عرض

أيام الخريف في تورينو:

"في ذلك اليوم المثالي، عندما نضج كل شيء، ولم يكُن الأمر مُقتصرًا على العنب الذي يتحوّل لونه إلى اللون البُني، سقط شعاع من الشمس على حياتي، لقد نظرت إلى الوراء، وتطلعت أمامي، ولم أرَ قط مثل هذه الأشياء العديدة الرائعة في آنٍ واحد، ولم يكُن من قبيل الصدفة أنني قد دفنت سنيني الأربع وأربعين اليوم، إن لي كل "الحق" في دفنها، فما هو حيوي فيها تم إنقاذه وأصبح خالدًا، إن الكتاب الأول من "إعادة تقييم جميع القيم" و"ديونيسوس - ديثيرامنبس" و"أفول الأصنام" كلها هي هدايا هذا العام، تحديدًا هدايا الربع الأخير منه - (كيف لي ألا أكون ممتنًا طوال حياتي؟)، وهكذا سأشرع في حكي قصة حياتي لنفسي"(43).

في ١٥ أكتوبر ١٨٨٨، صاغ فريدريك نيتشه هذه الجمل في تورينو، أي في عيد ميلاده الرابع والأربعين، وكان هذا هو عيد ميلاده الأخير قبل انهياره العقلي، لاحقًا، أصبح هذا المقطع مقدمة كتاب "هذا هو الإنسان".

وقبل ذلك، أمضى نيتشه أشهر الصيف الممطرة في سيلس ماريا في منطقة إنجادين العليا: "أنني أتجمد من البرد منذ شهر يونيو [...]"(44).

انحدرت الحالة المزاجية لنيتشه وأحوال الطقس على حد سواء إلى أدنى مستوياتها في الأسبوع الثاني من شهر سبتمبر.

"أخيرًا، أعتقد أنّ الظروف الجو غير المواتية ستجعل أي نوع من الإجهاد خطيرًا للغاية هذا العام - إنني أتحدث من واقع خبرتي، كان من الغريب بالنسبة لي، أن أقوى اختبار للصبر هنا كان مخصصًا لنا حتى النهاية، فقد كانت هناك ظروف جوية مروعة طوال الأسبوع الماضي، لقد رقدت مرة أخرى لعدة أيام كما لو كنت مُخدرًا، بلغت كتلة الماء التي سقطت في تلك الأيام القليلة الماضية ٢٢٠ ملم، في حين أن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الكمية الطبيعة لشهر كامل في سيلس ماريا هي ٨٠ ملم، وبالرغم من ذلك، كانت سيلس ماريا هي المكان الوحيد في منطقة إنجادين التي نجت من هذه الكارثة (غير المسبوقة في تاريخ إنجادين) دون أية أضرار تذكر(45) .

واضطر نيتشه إلى تأجيل رحلته إلى تورينو، التي كان من المقرر إجراؤها في ١٨ سبتمبر، بسبب تضرر خط السكة الحديد نتيجة للمطر، وغادر نيتشه سيلس ماريا أخيرًا في ٢٠ سبتمبر: "واجهت رحلتي العديد من المصاعب واختبارات صبر من أسوأ الأنواع: وصلت إلى ميلانو في منتصف الليل، كانت المشكلة الأكثر خطورة هي المرور ليلًا في كومو عبر التضاريس المغمورة بالماء على جسر خشبي ضيق - على ضوء المشاعل! كما لو كانت لعبة "العميان"، وصلت إلى تورينو منهكًا للغاية بسبب الهواء الكريه في لومباردي، لكن وبشكل غريب، كان كل شيء على ما يرام، وضوح رائع، ألوان خريفية، شعور رائع بالرفاهية في كل شيء"(46).

استقر الطقس الخريفي المشمس في الأسبوع الثاني من شهر أكتوبر، عبّرت رسائل نيتشه خلال تلك الفترة عن نفس الشعور بالابتهاج الذي نجده في مقدمة "هذا هو الإنسان" المُقتبسة أعلاه، كتب نيتشه إلى فرانس أوفيربيك في ١٨ أكتوبر: "بالأمس، قمتُ بجولتي المُعتادة بعد الظهر خارج تورينو، لقد انتشر ضوء أكتوبر النقي في كل مكان، بالكاد مس الخريف طريق الأشجار القريب من نهر بو، أنا الآن أكثر شخص ممتن في العالم، شخص ذو عقلية خريفية بكل معنى الكلمة، إنه وقت حصادي العظيم، كل شيء يصبح أيسر، كل شيء يأتي إليّ من تلقاء نفسه، على الرغم من أنه نادرًا ما كان لدى أي شخص مثل هذه الأشياء العظيمة بين يديه"(47).

ونجد نفس الشعور في رسالته إلى والدته في اليوم التالي: "إنّ الأمور تتحسن هنا يومًا بعد يوم، يتسم الطقس بنقاء لا يوصف، لم أرَ مثل هذا الخريف في أي مكان من قبل، لا أستطيع حتى أن أتحدّث عن روعة العنب والفواكه الأخرى..."(48).

وُلِد "هذا هو الإنسان" في تلك الأيام الخريفيّة: "لقد نشأ كتابي "هذا هو الإنسان:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كيف تصبح ما أنت عليه" في الفترة ما بين ١٥ أكتوبر (عيد ميلادي المبارك) والرابع من نوفمبر، مُفعمًا بروح الكبرياء العتيقة والمزاج الجيد، لقد بدا جيدًا جدًا بالنسبة لي، لدرجة ألا يمكنني السخرية منه"(49).

أبلغ نيتشه بيتر غاست بعمله على "هذا هو الإنسان" لأول مرة في ٣٠ أكتوبر ١٨٨٨ - أي حينما استقر نيتشه أخيرًا على العنوان الرئيسي والعنوان الفرعي للكتاب: "الطقس رائع للغاية؛ لدرجة أنه ليس من الصعب خلق شيء جيد، في عيد ميلادي، بدأت في كتاب جديد مرة أخرى، ويبدو أنه يسير على ما يرام حتى الآن، فقد بدأ بالتقدم بشكل ملحوظ جدًا، أطلقت عليه اسم "هذا هو الإنسان: كيف تصبح ما أنت عليه"، إنه يدور بجرأة حولي وحول كتاباتي الأخرى"(50).

بعد فترات من الوحدة العميقة، والمُعاناة من النفس ومن الآخرين، والمرض، أنشأ نيتشه "هذا هو الإنسان" بفضل أقامته في تورينو: "بفضل شعور لا مثيل له بالرفاهية، وبفضل ذلك الخريف الرائع والإقامة الأكثر من رائعة التي وجدتها في تورينو"(51).

***

وهكذا سأشرع في حكي قصة حياتي لنفسي:

لا يعتبر نيتشه "هذا هو الإنسان" سيرة ذاتية بمعناها الشائع، فلا يمكن إعادة بناء التسلسل الزمني لأحداث حياته إلا بصعوبة بالغة، يتم الالتزام بالتسلسل الزمني فقط في فصل "لماذا أنا حكيم جدًا؟"، حيث علّق نيتشه على أعماله المنشورة وفقًا لتاريخ إنشائها، وفي هذا الفصل فقط -وعلى غرار كتبه الأخرى- تتجمع أحداث السيرة الذاتية لتشكل تسلسل زمني واضح.

تعد عناوين الفصول بمثابة أسئلة بلاغيّة استفزازيّة، تقوم بتنظيم النص بشكل موضوعي، ولكن بطريقة عامة بحيث يبقي هناك مساحة للاستطرادات، والاقتباسات، والتعليقات، والحكايات، والتأملات، والأسئلة.

أتاح هذا الشكل الأدبي لنيتشه حرية ربط السيرة الذاتية والأفكار دون الاضطرار

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلى إيلاء اهتمام غير ضروري للتسلسل الزمني لأي حدث، أو حتى للأحداث نفسها: "وهكذا سأشرع في حكي قصة حياتي لنفسي"، في الحقيقة يبدو أنّ نيتشه يتحدّث إلى نفسه وليس إلى قُرّائه.

ولكن بالرغم من ذلك، لم يكتب نيتشه هذا النص إلى نفسه، ففي الجُمل المُقتبسة من مقدمة "هذا هو الإنسان" شرح نيشته الدافع وراء هذا العمل: "نظرًا لحقيقة أنني سأضطر قريبًا إلى مواجهة البشرية بأعظم مطلب سيُلقى على عاتقهم، يلوح لي أنه لا مفر من أن أعلن هنا من أنا"(52).

قدّم نيتشه نفسه على أنه سفير لأفكاره ولمطالبه من الإنسانية، ودفعه إلى ذلك خوفه من ألا يسمعه أحد أو أن يُخلط الناس بينه وبين شخص آخر: "أنصتوا لي! لأنني هذا أو ذاك، ولكن رجاءً لا تخلطوا بيني وبين أي شخص آخر"(53).

الآراء والمنظورات:

ربط "هذا هو الإنسان" بين شخصية وأعمال فريدريك نيتشه، حيث يندرج هذا النص ضمن سلسلة كتاباته وسياق تفكيره، الذي بالتأكيد ليس غير شخصي، إن ما يميز فلسفة نيتشه تحديدًا هو أنه لا يمكن اختزالها في عدد من المبادئ والنظريات، بغض النظر عن الفروق الدقيقة في التعبيرات وأسلوب المقاطع، وبالطبع في شخصية المُفكر، لم يشر نيتشه إلى ذلك في "هذا هو الإنسان" فقط: "في الواقع يجب أن يكون هذا معروفًا تمامًا (مَن هو نيتشه): لأنني لم أسمح لنفسي ألا أكون "بلا شاهد"(54).

ففي وقت مبكر من منتصف ثمانينيات القرن العشرين، كتب نيتشه مقدمات متأخرة للعديد من أعماله المنشورة حتى ذلك الحين، والتي جمعت بين الصور الذاتية والتعليقات والمعلومات حول السياق الذي كتبت فيه، وبالإضافة إلى ذلك، أُدرجت بعض هذه المقدمات الإضافية إلى النصوص التمهيدية، التي تشكّل بالفعل جزءًا من نصوص الطبعات الأولى لتلك الكتب.

علاوة على ذلك، لم يسمح نيتشه لنفسه في كتبه ألا يكون "بلا شاهد"، مما يسمح

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لقرّائه بفهم من هو أو من يرغب في أن يكون، ولعلّ أفضل اقتباس حول ذلك ما جاء في بداية الكتاب الرابع من "العلم المرح": "في العام الجديد، ما زلت حيًا، وما زلت أفكر: لا يزال عليّ أن أحيا لأنه لا يزال عليّ أن أفكّر، "أنا موجود إذن أنا أفكّر، أنا أفكّر إذن أنا موجود"، يسمح الجميع لأنفسهم اليوم بالتعبير عن رغباتهم وأفكارهم المفضّلة: حسنًا، سأعبر أنا أيضًا عمّا كنت أبغيه اليوم من نفسي، وعن أول فكرة خطرت ببالي واخترقت قلبي هذا العام، عن الفكرة التي ستغدو أساس وضمان كل حياة لاحقة وعذوبتها، أرغب أن أتعلم أكثر فأكثر كيف أرى ما هو ضروري في الأشياء على أنه جميل في حد ذاته، وهكذا سأصبح من الذين يُجملون الأشياء، عشق القدر Amor fati: ليكن ذلك حبي من الآن فصاعدًا، أنا لا أريد شن حرب على القبح، لا أريد أن أتهم أحدًا، ولا حتى المتهمين أنفسهم، سيصبح بُعد النظر منفاي الوحيد، وفي المجمل أتمنى أن أكون من الذين يستجيبون بنعم فقط في يوم من الأيام(55).

يجدر الانتباه إلى رغبة نيتشه في العام الجديد هنا لسببين على الأقل: من ناحية، لأن فكرة عشق القدر Amor fati ليست مجرد فكرة عابرة، بل تعد فكرة رئيسية في كتاب "هذا هو الإنسان"، ومن ناحية أخرى لأن هذا الاقتباس ساعد على توضيح سبب إلحاح نيتشه على تقديم نفسه في "هذا هو الإنسان": إنّ النظرة الفلسفية التي يرغب نيتشه فيها ليست مجرد وجهة نظر لليقين الموضوعي والأفكار الأبدية بل هي نظرة خالقة وموجهة نحو المستقبل: "أرى ما هو ضروري في الأشياء على أنه جميل في حد ذاته".

في الوقت نفسه، وثقت رغبة نيتشه في العام الجديد أنه لا ينبغي الخلط بين هذه النظرة الخالقة وبين الوهم وخداع الذات، إن النظرة التي يسعى إليها ليست متاحة اعتباطيًا، وإلا فلن تصبح هدفًا لمشروع من الواضح أنه لم يتحقق بعد، تعتمد هذه النظرة على وجهة النظر، حيث تتغيّر بتغيّر شخصية الناظر، فمن منظور الشخص المستجيب بنعم فقط، يجب أن يتزامن كلا من الضرورة والجمال معًا، "الذين يُجملون الأشياء"، وبالرغم من ذلك، ترتبط وجهة نظر العارف ارتباطًا وثيقًا بشخصيته -وبشكل أعم بالحياة: "الحياة وسيلة للمعرفة"- مع وجود هذا المبدأ في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القلب، لا نستطيع العيش بشجاعة فقط، بل يمكننا كذلك العيش بمرح والضحك بسعادة!"(56).

تُشير صيغ نيتشه إلى وجود ارتباط واقعي مزودج في مثل هذا المنظور، فهو يعتمد أولًا على مَن هو الشخص الذي تنبثق منه وجهة النظر هذه، وثانيًا على مقدرة هذا الشخص على تغيير العالم "الأشياء"، بالنسبة لنيتشه، فإن مثل هذا المنظور أمر لا مفر منه، حيث يصف المنظور في كتابه "ما وراء الخير والشر" بأنه "الشرط الأساسي للحياة"(57).

إنّ وجهة نظر نيتشه الخالقة هي الخلفية لحقيقة أنه لا ينبغي الفصل بين الشخص والفكر بل ينبغي تقديمهما معًا، وهذا بالضبط ما فعله نيتشه في كتاب "هذا هو الإنسان"، حيث ربطهما ببعضهما بعضًا، وهنا يكمُن أحد أسباب خوفه من خلط الناس بينه وبين شخص آخر، إن وجهة النظر الفردية تُحدد المنظور بشكل حاسم، تظهر حقيقة أن نيتشه، قبل وقت قصير من توقف نشاطه الفكري، اهتم بشكل مكثف بالحيلولة دون سوء الفهم الجسيم بشأن شخصيته، فلم يهتم بنقل النظريات الموضوعية، بل اهتم بنقل موقف ومنظور فلسفي له نقطة انطلاق، والتي تكون عند نيتشه تحديدًا.

ليس كافيًا لنقل منظور فلسفي أن نقوم فقط بتقديم ما تبدو عليه الآراء، تكمُن المشكلة في نقل نقطة انطلاق أو انتهاء هذا المنظور، يتيح نقل المنظور بنجاح للآخرين اتخاذ منظور مماثل على الأقل لأنفسهم، كافح نيتشه مع مشكلة النقل هذه قبل فترة طويلة من كتابة "هذا هو الإنسان"، إن حله الأكثر راديكالية لتلك المشكلة هو كتاب "هكذا تكلم زرادشت"، ففي هذا الكتاب جرب نيتشه شكلًا جديدًا للنقل، صور نيتشه نقطة انطلاق المنظور الذي يرغب في نقله في شخصية زرادشت، "وليست كلماته هي المختلفة فحسب، بل هو نفسه مختلف عنهم.."(58).

تحدّث نيتشه في مقدمة "هذا هو الإنسان" عن زرادشت، حيث شكّلت شخصية زرادشت، "المختلف"، نقطة الانطلاق التي رغب نيتشه في نقلها، ومن خلال شخصية زرادشت، اخترع نيتشه مُتحدثًا عن أفكاره.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فمن أجل فهم كتاب "هكذا تكلم زرادشت"، ينبغي الاستماع لهذا المُتحدث وفهم طريقة حديثه، "يجب على المرء الاستماع إلى النغمات الهالكيونية الباعثة للهدوء والسلام الصادرة من كتاب "هكذا تكلم زرادشت"، قبل إصدار حكمه الظالم بشأنه"(59).

دون نيتشه في عام ١٨٨٤: "القرار، لا أرغب بالتحدُّث من خلال زرادشت بعد الآن، بل أرغب أنا بالتحدُّث"(60).

في "هذا هو الإنسان"، حاول نيتشه خلق نقطة انطلاق لنقل المنظورات الفلسفية الخاصة به، بنفسه وليس من خلال شخص آخر، وفي الفصل الأول من "هذا هو الإنسان"، ذكر نيتشه أنه أتقن للتو التعامل مع المنظورات: "الآن أصبح لديّ القدرة على تغيير المنظورات، وربّما كان هذا هو السبب الأول الذي جعل فكرة "إعادة تقييم جميع القيم" ممكنة بالنسبة لي أنا فقط"(61).

***

الفَهم وسوء الفَهم:

"هل يوجد مَن يفهمني؟"(62)..

كرّر نيتشه هذا السؤال -الذي أقلقه وحفزه على كتابة في آنٍ واحد- ثلاث مرات في بداية الفقرات الثلاث الأخيرة من الكتاب، وتبعًا لوجهات نظره الفلسفية، ارتبط الفهم عند نيتشه دائمًا بشرط عدم الخلط بينه وبين أحد آخر: "أخشي بشدة من أن يتم تقديسي في يوم ما، لذلك تستطيعون أن تخمنوا بسهولة سبب نشري لهذا الكتاب مسبقًا- إنه لمنع الناس من أن يسيئوا فهمي..."(63).

تعد الديباجة القصيرة التي تلت مقدمة كتاب "هذا هو الإنسان" مدخلًا إلى الفصول الأربعة الرئيسية، كما أنها لا تُظهر شيئًا عن الخوف من الخلط.

وضح التناقض بين دوافع نيتشه المُضطربة والجملة الأنيقة شبه الرسمية التي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

افتتح بها سيرته الذاتية "كيف لي ألا أكون مُمتنًا طوال حياتي؟ وهكذا سأشرع في حكي قصة حياتي لنفسي"(64). أنّ نيتشه كتب هذا النص لغرض ما.

"أفضّل أن أكون ساتيرًا(65) على أن أكون قديسًا، وكل ما أطلبه هو أن تقرأوا هذا الكتاب، رُبّما أكون قد نجحت هنا في التعبير عن هذا التناقض بطريقة مبهجة مليئة بالعواطف ومحبة للناس، ورُبّما لا يكون للكتاب أي غرض آخر غير ذلك"(66).

بقدر ما تبدو كلمة "محب للناس" مرتبطة بأحد الأقوال المأثورة من كتاب العلم المرح، إلا أنه قد أصبح من الواضح للغاية إلى أي مدى ينبغي أن يكون تفسير "هذا هو الإنسان" حذرًا بشأن حقيقة أن نيتشه كان بإمكانه جعل نفسه فمًا وقناعًا لأفكاره: "يتحدّث الزاهد مرة أخرى، نحن أيضًا نعاشر "الناس"، ونرتدي بتواضع اللباس الذي يعرفنا الناس به، ويقدروننا، ويبحثون عنّا، ونذهب إلى المجتمع ونحن نرتدي هذا اللباس، أي إلى وسط مُقنعين لا يرغبون في أن ننعتهم بذلك: "نحن أيضًا نفعل مثلما يفعل كل مقنع ذكي، فنضع حدًا لكل فضول لا يتعلق بلباسنا بلطف"، غير أنّ هنالك طرق وحيل أخرى لمعاشرة الناس وسط الناس: أن نغدو كشبح على سبيل المثال، وهو أمر يُنصح به للغاية إذا كنّا نرغب في التّخلّص منهم وجعلهم يخشوننا، والدليل هو أنهم يضعون أيديهم علينا ولكن يتعذر عليهم الإمساك بنا، هذا مرعب، أو ندخل من أبواب مغلقة، أو بعد إطفاء جميع الأنوار، أو حينما نصبح أمواتًا، هذه الوسيلة الأخيرة هي وسيلة إنسان "ما بعد الوفاة" بامتياز، (فيمَ تفكر؟ قال أحد هولاء الأشخاص (ناس ما بعد الوفاة) بنفاد صبر ذات يوم: "هل كنّا سنصبح مستعدين لنتحمل مثل هذه الغرابة وهذه البرودة وهذا الصمت المريب، أو لنتحمل كل هذه الوحدة الخفية، والصامتة، والغامضة، والتي تسمى بالنسبة لنا حياة، وقد تسمى موتًا أيضًا، لو لم نعرف ما الذي سيحدث لنا -لو لم نعرف أننا لا نصل إلى حياتنا ونصير أحياءً إلا بعد موتنا، آه! كم نحن أحياء! نحن أناس ما بعد الوفاة!"(67).

تبرز سمات هذا الزاهد، الذي يعاشر "الناس" مقنعًا، في مقاطع مختلفة من كتاب "هذا هو الإنسان ومن أهم هذه السمات:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١- وحدة نيتشه "الجليد قريب، والوحدة مرعبة [...] والفلسفة كما فهمتها وعايشتها حتى الآن هي التقاعد الإرادي في مناطق الجليد وقمم الجبال العالية".(68)

٢- شعور نيتشه أنّ هذا ليس أوانه: "أنا شخصيًا لم أواكب هذا العصر بعد، فالبعض منّا يولد فعليًا بعد وفاته"(69).

***

هيكل الكتاب:

- اتضح أنّ كتاب "هذا هو الإنسان" بمثابة نص مُلحن، تعد الطريقة الصريحة - وأحيانًا شبه الثرثارة- للنقل بمثابة السطح "المُبهج والمُحب للناس"، الذي يتم تحته اختيار كل مقطع وكل جملة ووضعها عمدًا.

قبل أن يتعمق نيتشه في تصوره الذاتي من خلال الفصول الأربعة الرئيسية، فإنه يرشد القارئ من خلال نصين تمهيديين: أولًا المقدمة، التي ذكر نيتشه فيها لأول مرة الدافع وراء كتاباته: "انصتوا لي! لأنني هذا أو ذاك، ولكن رجاءً لا تخلطوا بيني وبين أي شخص آخر"(70).

ثانيًا تسمح تلك الديباجة القصيرة التي تنتهي بجملة "وهكذا سأشرع في حكي قصة حياتي لنفسي"(71). ، لنيتشه بالانطلاق في توضيح تصوره الذاتي في أربعة فصول متتالية.

لقد وضّحت هذه الديباجة بالفعل، أنّ هذا الكتاب ليس عبارة عن سرد زمني دقيق لأحداث حياة نيتشه، بل هو بالأحرى عبارة عن سرد ترابطي، سلط نيتشه الضوء في الفصول الأربعة الرئيسية التالية: "لماذا أنا حكيم جدًا"، و"لماذا أنا ذكي جدًا"، و"لماذا أكتب مثل هذه الكتب الرائعة"، و"لماذا أنا مميت"، على تلك الظروف والمواقف الحياتية التي اعتبرها مناسبة جدًا لنقل سيرته الذاتية، واستغل الفرصة الناجمة عن الحوار الذاتي الحر لدمج الأحداث الرئيسية الفعلية في حياته، الأفكار.

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثالث

المنحَط ونقيضه

حكمة نيتشه

الفلاسفة والحياة:

يحتوي عنوان الفصل الأول "لماذا أنا حكيم جدًا؟" من كتاب "هذا هو الإنسان" على استفزازين، يتعلق الاستفزاز الأول الواضح بطبيعة الحال بالطريقة التي يتباهى بها نيتشه بكونه "حكيمًا جدًا"، أمّا الاستفزاز الثاني فيتعلق بعلاقته بالفلسفة، فمن خلال جُملة واحدة تخطى نيتشه المسافة الفاصلة بين عاشق الحكمة، أي الفيلسوف بالمعنى اليوناني للكلمة، وبين الحكمة نفسها (أو صوفيا كما يطلق عليها اليونانيون)، وكان فيثاغورس هو أول مَن شدّد على هذه المسافة، حيث اعتبر أنّ الحكمة لا تنتمي سوى للإله فقط(72).

وسرعان ما أعتبر سقراط، صاحب الحكمة الشهيرة "أعرف أني لا أعرف شيئًا"(73). والتي تعرف بـ"المفارقة السقراطية"، النموذج المثالي للفيلسوف الذي وصفه فيثاغورس، ومنذ ذلك الحين، أضحى من سمات الفيلسوف أن يغدو عاشقًا لمُثُل الحقيقة والجمال والخير بشرط الحفاظ على المسافة كما ذكرنا سابقًا، وعلى النقيض من ذلك، فقد تباهى نيتشه هنا بنية استفزازية بأنه حكيم بالفعل، ونتيجة لذلك، نأى نيتشه بنفسه في هذا العنوان عن نوع الفلسفة، التي يرى أنها صيغت من قبل سقراط.

انتقد نيتشه سقراط في الفقرة الأولى من ذلك الفصل: "قد يعرف قُرّائي إلى أي مدى اعتبر الجدال علامة على الانحطاط ممثلا في الحالة الأكثر شهرة على الإطلاق وهي حالة سقراط"(74). ، لقد شغلت "حالة سقراط" نيتشه منذ البداية، ففي عام ١٨٧١، أي قبل عام من نشر عمله "مولد التراجيديا من روح الموسيقى"، طبع نيتشه النموذج الأولي من ذلك العمل بعنوان "سقراط والتراجيديا اليونانية"، وفي المقدمة اللاحقة لمولد التراجيديا، أشار نيتشه إلى الفكرة المُهيمنة وهي "السقراطية": "وفي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المقابل، ما الذي تسبب في موت التراجيديا حقًا: سقراطية الأخلاق، أم الجدال، أم الاقتصاد، أم الابتهاج الطاغي على ملامح المفكر؟ ألا يمكن أن تكون هذه السقراطية نفسها عرضًا من أعراض الانحطاط، الإرهاق، المرض، الانحلال الفوضوي للغرائز؟ (75)

تعد الإشارة الساخرة إلى سقراط في فصل "لماذا أنا حكيم جدًا؟" مجرد ملاحظة صغيرة مقارنة بكتاب "أفول الأصنام"، الذي يتضمن فصلًا كاملًا بعنوان "قضية سقراط"، وفي هذا الفصل، تم التعبير بوضوح عن الاستفزاز الفلسفي لادعاء نيتشه بأنه حكيم: "إذا رأى الفيلسوف في قيمة الحياة معضلة، فإن هذا هو ما ينطق بالاعتراض ضده، وهو ما يضع حكمته موضع شك وهو ما يؤكد عدم حكمته، ماذا؟ ألم يكُن كل الحكماء العظام مجرد منحطين، ولم يكونوا حتى حكماء؟(76)

انتقد نيتشه أيضًا في ذات الفصل محاولة "الفلاسفة" الحكم على الحياة نظريًا، أي بالرجوع إلى مُثُل الحقيقة والجمال والخير: "ينبغي على المرء أن يكلف نفسه عناء مد يده وملامسة هذه البراعة المُذهلة التي تجعل قيمة الحياة لا يمكن تقديرها، وليس من طرف شخص حي، لأنه طرف في الخلاف، بل في الواقع هو موضوع الخلاف نفسه، ثم لأنه ليس قاضيًا، وليس من طرف شخص ميت، لسبب مختلف تمامًا"(77).

سلطت حجة نيتشه الضوء على منظوره الفلسفي، فلا يمكن الحكم على الحياة لأنه لا يوجد منظور وبالتالي لا يوجد معيار خارج الحياة، يتمثل الجانب الأول من حكمة نيتشه في إدراك أن الوجود يسبق الفكر، فالمفكر ليس مجرد "طرف" بل هو "موضوع الخلاف" نفسه في عملية "المحاكمة"، والتي تعد كناية عن الوجود، ونتيجة لذلك لا يوجد حكم -أي تفكير- على الحياة، وإنما يوجد فقط حكم وتفكير في الحياة، إذ أن التفكير علامة على حياة المفكر، "إنّ الأحكام، الأحكام حول قيمة الحياة، لا يمكنها أن تغدو حقيقية أبدًا [...] فهي لا تؤخذ في عين الاعتبار إلا كأعراض. [...]" (78).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

***

أصل الفحايد:

يوجد في بداية فصل "لماذا أنا حكيم جدًا؟" صياغة تبدو وكأنها تتناقض مباشرة مع فكرة كون المرء دائمًا "طرفًا" في الحياة: "[...] تلك الحرية من كوني طرفًا فيما يتعلق بالمشكلة العامة للحياة، وذلك ما يميزني"(79) ، ولكن في هذا التناقض تحديدًا تكمُن المشكلة، والسؤال الذي يحاول فصل "لماذا أنا حكيم جدًا؟" بأكمله الإجابة عليه، بالطبع لم يتخلَّ نيتشه بأي حال من الأحوال عن منظور المحايثة، المنظور الفلسفي الذي يسري بالكامل داخل الوجود، إن "التحرُّر من كونك طرف" أمر نسبي، فقد أصبح ممكنًا وجود رؤية أكثر حرية -إلى حد ما- للوجود بفضل الحياة نفسها، حاول نيتشه شرح كيف ولماذا يمكن لشكل معين من أشكال الحياة تُبنى هذه النظرة الحرة نسبيًا للوجود كمنظور، يُسمى هذا الشكل الخاص من الحياة بفريدريك نيتشه ويعد التفسير الذي حاول نيتشه تقديمه بمثابة تقديم لأصوله: "تكمُن سعادة وجودي، وربّما تفرده، في طابعها المصيري، إنني أعبّر عنها في شكل لغز، وبالنسبة لأبي فإنني قد مت من قبل مثله، وأمّا بالنسبة لأمي فأنني ما زلت حيًا وأتقدم في العمر، يبدو هذا الأصل المزدوج كما لو أنني استمددته من أعلى وأسفل درجات سلم الحياة، ويعتبر هذا الأصل في الوقت عينه انحطاط وابتداء، وهذا يُفسّر ذلك الحياد، وتلك الحرية من كوني طرفًا فيما يتعلق بالمشكلة العامة للحياة، وذلك ما يميزني، إنني حساس فيما يتعلق بأفضل علامات للصعود والهبوط أكثر من أي إنسان آخر، ففي هذا المجال أعد أستاذًا بارعًا بامتياز، لأنني أعرف الجانبين، بل لأنني كلا الجانبين(80).

خلق نيتشه من خلال "شكل اللغز" الذي وصف به أصوله، توترًا لم يتمكن من حله إلا جزئيًا من خلال شرح "أصله المزودج"، وأبرز نيتشه أيضًا أهمية المقطع من خلال التعارض التكميلي بين السعادة والقدر، فيرى أنّ سعادة وجوده الهشة -أو أسلوب حياته إذا جاز التعبير- تكمُن في ازدواجيتها، فتمتد حياته، وهو نفسه بين قطبين، ولذلك يعد نيتشه قادرًا على اتخاذ "نظرة مزودجة" للوجود، ولديه الحرية -النسبية-

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في اتخاذ منظورين مختلفين، ينبغي علينا الآن توضيح ما تعنيه كلمة "منحط"، والتي تمثل أحد قطبي وجود فريدريك نيتشه، استخدم نيتشه "أصله المزدوج" - الطبيعة المزدوجة ذات الوجهين- من أجل تبرير "حكمته"، أي إمكانية تجربة الوجود من عدة منظورات في نفس الوقت، باعتباره المنحط ونقيضه، "بصرف النظر عن كوني منحطًا، ولكنني على النقيض منه أيضًا". (81)

بدأ نيتشه بعد تلك الفقرة التمهيدية للفصل الأول، والتي لمحت إلى قطبيه وجوده "على شكل لغز"، في تقديم أدلة سيرته الذاتية على "أصله المزدوج" المزعوم: "مات أبي عن عُمر يناهز السادسة والثلاثين، لقد كان مريضًا ومحبوبًا وحسّاسًا، مثل مخلوق قُدر له أن يعيش عمرًا قصيرًا، لقد كان إنسانًا يُذكرنا بالحياة أكثر من الحياة نفسها، وفي نفس العمر الذي انهارت فيه حياته، انهرث أنا أيضًا، ففي عامي السادس والثلاثين تدنت حيويتي إلى أدنى نقطة لها وبالرغم من ذلك ما زلت حيًا، ولكنني لم يعد بمقدوري أن أرى ما هو أبعد من ثلاث خطوات أمامي، وفي ذلك الوقت -كان ذلك عام ١٨٧٩- استقلت من منصبي كأستاذ في جامعة بازل، وعشت خلال فصل الصيف أشبه بظل في سانت موريتز، وأمضيت فصل الشتاء التالي أشبه بظل في ناومبورغ، وكان ذلك الفصل هو أطول فترة أقضيها في حياتي دون شمس، وكنت في أدنى حالات انحطاطي، ونتج عن تلك الفترة كتاب "الهائم وظله"، وممّا لا شك فيه أنني فهمت الظلال جيدًا آنذاك(82).

قارن نيشته هنا حياته جزئيًا بحياة والده، كارل لودفيغ نيتشه، والذي توفي عن عمر يناهز ٣٦ عامًا، "كما قال الشاب نيتشه، وأكدت جميع المصادر المعاصرة آنذاك دون استثناء، فقد توفي جرّاء مرض في الدماغ، وهو التهاب تلاه تليين في الدماغ، وكان التشخيص الطبي في ذلك الوقت غامضًا نوعًا ما". (83).

وعانى نيتشه نفسه مرارًا وتكرارًا من آلام شديدة في الرأس واضطرابات في الرؤية، والتي استمرت أحيانًا عدة أيام، وصلت تلك الاضطرابات إلى ذروتها في عام ١٨٧٩ وكانت السبب الرئيسي وراء تخلي نيتشه عن منصبه كأستاذ لعلم اللغات القديمة في جامعة بازل، والتي عُين بها في ١٢ فبراير ١٨٦٩، وكان بالغ من العمر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حينها ٢٤ عامًا فقط، ومكّنه المعاش الذي تقضاه من جامعة بازل، والذي كان سخيًا للغاية حينها، من صب جام تركيزه على عمله الفكري.

***

المُنحط:

استغل نيتشه حقيقة تدني صحته في نفس العمر، الذي توفي فيه والده جرّاء المرض، لإثبات نصف أصله المُزدوج، ويوضح المقطع المقتبس أعلاه أيضًا جزءًا من معنى مصطلح "الانحطاط" الذي أطلقه على هذا الجانب من شخصيته، الانحطاط هو الضعف، ونقص المقاومة والحيوية: "تدل الأمراض وخاصة أمراض الرأس والأعصاب على فقدان القوة الدفاعية للطبيعة القوية"(84). .

تكمل ملاحظة من عام ١٨٨٨ تلك الترجمة الحرفية لكلمة الانحطاط "التدهور، السقوط"، من خلال تصريح معبّر ومهم: إنّ الانحطاط، والتدهور ليست أشياءً ينبغي إدانتها في حد ذاتها، لأنها نتيجة ضرورية للحياة ولنمو الحياة، إنّ وجود الانحطاط ضروري تمامًا مثل أي ارتفاع أو تقدم في الحياة، ولا يمكننا التخلص منه، وعلى النقيض من ذلك، يرغب العقل في امتلاك حقوقه..."(85).

يظهر الانحطاط هنا كتدهور ضروري في منزل الحياة، والذي يتبع كل نمو ويفسح المجال مرة أخرى من أجل إنشاء منزل جديد أو لإعادة إعمار المنزل القديم.

يقودنا الاقتباس التالي من كتاب "هذا هو الإنسان" إلى البُعد الثاني لمعنى كلمة "المُنحط": "حمل لي الشتاء التالي -وهو أول شتاء لي في مدينة جنوة- تلك العذوبة والروحانية المُلازمتين لفقر الدم المُدقع، ونتج عن ذلك كتاب "الفجر"، إنّ الصفاء والتألق الكاملين وحيوية الروح، التي يعكسها هذا العمل لا تتوافق في حالتي مع أعمق ضعف جسدي فحسب، بل تتوافق أيضًا مع المُعاناة المُتزايدة، وفي خضم هذا العذاب الناجم عن الصداع المستمر لمدة ٣ أيام متتالية، والمُصاحب لنوبات عنيفة من القيان، تملكني وضوح جدلي فريد، وفكرت بهدوء شديد في عدة أشياء، واكتشفت في أشد لحظات الصحة أنني لستُ متسلقًا جيدًا، وأنني لستُ بارعًا بما

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيه الكفاية، وقد يعرف فُرْائي إلى أي مدى اعتبر الجدال علامة على الانحطاط ممثلا في الحالة الأكثر شهرة على الإطلاق وهي حالة سقراط"(86).

يقوم الانحطاط بتحسين الإدراك والاستيعاب والقدرة على التعبير من خلال خفض المُقاومة وما ينتج عنها من حساسية زائدة، تحدّث نيتشه في الاقتباس التالي عن البراعة، وأكّد أهمية الاختلافات والفروق الدقيقة: "وحتى ذلك الفن المُزخرف للإدراك والاستيعاب بصفة عامة، ذلك الشعور بالفروق الدقيقة، وتلك السيكولوجية الخاصة "برؤية ما وراء الزوايا"، وأي شيء آخر قد أكون قادرًا على فعله، ولم أتعلمه إلا في ذلك الوقت، هو الهبة الخاصة والحقيقية لتلك الفترة التي يرهف فيها كل شيء ذهني". (المرجع نفسه).

استعار نيتشه بعض الكلمات من اللغة الفرنسية مثل: "اللطافة" و"البراعة" و"الفروق الدقيقة"، بغرض إضفاء بعض الأناقة على نصه الألماني، وأشارت هذه الكلمات جميعها إلى الفردية وشعور نيتشه الراقي بالانحطاط.

ورفض نيتشه بحزم احتمالية أن تكون حالاته المرضية قد قللت من قدرته على التفكير، ويمكننا رؤية ذلك بوضوح من خلال الاقتباس التالي: "إنّ جميع أشكال الاضطرابات العقلية المرضية، حتى شبه الخدر الذي يُصاحب الحمى، ظلت غريبة عني تمامًا حتى يومنا هذا، ولكي أتمكن من معرفة طبيعتها وكثرتها عليّ أن أعود إلى الكُتب الطبية المُتخصصة، إن دورة دمي بطيئة، ولم يقدر أحد على اكتشاف الحمى الناشئة بداخلي قط، وأعلن الطبيب الذي عالجني لبعض الوقت باعتباري مريضًا عصبيًا أخيرًا، "لا! ليس هنالك شيء يتعلق بأعصابك؛ بل أنا نفسي العصبي"، لم يقدروا على اكتشاف أي مرض فيّ أو أي اضطراب مَعدِي، رُغم مُعاناتي كثيرًا من ضعف شديد في الجهاز المعدي نتيجة للإنهاك العام، وحتى اضطراب عيني الذي يكاد يقترب من خطر الإصابة بالعمى ليس سوى نتيجة لا سبب، فمع كل تحسن في قوتي الحيوية وصحتي الجسمانية، يحدث ازدياد مقابل في قوة رؤيتي"(87).

عكس كتاب "هذا هو الإنسان" تناقض أصل نيتشه المزودج، ففي نهاية الفقرة الأولى من فصل "لماذا أنا حكيم جدًا" جمع نيتشه بين حالاته الصحية المُتغيرة في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حياته، لكي تُشكّل صورة مُكملة لشخصيته، ومن خلال تجربة منظورات مختلفة، يمكن للإنسان الوصول إلى الحرية في اتخاذ منظورات مختلفة، وحتى الحرية في تغييرها: "إن رؤية المفاهيم والقيم الأكثر صحة من وجهة المريض، والنقيض من ذلك رؤية العمل السري لغريزة الانحطاط والتدهور من وفرة وثقة الحياة الغنية بذاتها، هذا هو تمريني الأطول وتجربتي الرئيسية، هذا هو ما تدربت عليه كثيرًا، لكي أصبح بارعًا فيه، والآن أصبح لديّ القدرة على تغيير المنظورات، وربّما كان هذا هو السبب الأول الذي جعل فكرة "إعادة تقييم جميع القيم" ممكنة بالنسبة لي أنا فقط"(88).

بهذا المقطع، انتقل نيتشه من "الأصل المزدوج" وحالاته المرضية المختلفة إلى بؤرة التعقيد في شخصيته، "طبيعته"، لم يتخلّ نيتشه عن هذا الموقف حتى نهاية الفصل، حيث تصف الفقرات التالية من هذا الفصل جوانب هذه "الطبيعة"، ذكر نيتشه في نهاية الفصل: "هل لي أن أجرؤ على التلميح إلى سمة أخيرة من طبيعتي [...]"(89)

***

العليل السليم:

قدّمت افتتاحية الفقرة الثانية من الفصل الأول نقيضًا لذلك "المنحط"، "بصرف النظر عن كوني منحطًا، ولكنني على النقيض منه أيضًا"، (90)، تُظهر تلك الفقرة بدقة الطريقة التي يتواجد بها الأضداد معًا في جميع الأوقات من خلال الصورة المقدمة من قبل نيتشه: " ودليلي على هذا (أي على الانحطاط وضده)، من بين كل الأدلة الأخرى، هو أنني دائمًا ما اختار بشكل غريزي الوسائل الصحيحة والملائمة من أجل مواجهة الأوضاع السيئة، بينما يختار المنحط دائمًا الوسائل الضارة له".(91)

إنّ العلاقة بين الأضداد ليست متساوية، وهنا تنتهي صلاحية الصورة القطبية المستخدمة حتى الآن في هذا التفسير: "إنني أتمتع بصحة جيدة بشكل عام، ولكن سأظل منحطًا في تفاصيل معينة" وأكمل نيتشه: "لقد وضعت نفسي في يدي،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وجعلك نفسي صحيحًا مرة أخرى، ولكي يتمكن المرء من فعل ذلك فعليه من الأساس أن يكون قويًا، وهذا هو الشرط الوحيد للنجاح، والذي أقر به كل علماء الفسيولوجي". (92)

قدّم نيتشه التغلب على "الأوضاع السيئة" على أنه استشفاء ذاتي، وعلاوة على ذلك، فقد اعتقد نيتشه بأن للمرض تأثيرًا محفزًا على الشخص السليم: "بالنسبة لشخص يتمتع بصحة جيدة [...] قد يصلح المرض لأن يغدو محفزًا قويًا على الحياة وعلى وحدة الحياة"(93).

ماذا حدث لانحطاط نيتشه في عملية الاستشفاء الذاتي هذه؟ يمكننا الإجابة على هذا السؤال من خلال الصيغ التالية الواقعة في طي النسيان: فمن ناحية، يعبر استخدام زمن الماضي "كنتُ منحطًا" - عن تغلب نيتشه على "المنحط" الكامن بداخله، ومن ناحية أخرى يهمين زمن المضارع على بعض الصيغ مثل "سأظل منحطًا"، "أعرف كليهما، لأنني كليهما" (94)، وأخيرًا في الفصل الأول وصف نيتشه بالفعل التقلبات الدورية على مدى فترات زمنية أطول: "تعني سلسلة طويلة جدًا من السنوات التعافي بالنسبة لي، ولسوء الحظ تعني أيضًا الانتكاس والانهيار وفترات من الانحطاط". (95)

تتحوّل الصحة السائدة إلى قدرة متجددة، وبالتالي، فسوف تتعارض مع المقاومة الضعيفة للمنحط، والتي تعد في نفس الوقت أصل حساسيته وضعفه -حتى فلسفيًا- وستعمل ضده مرارًا وتكرارًا، ترمز الصيغ التي تحوم بين الماضي والحاضر على وجه التحديد، إلى صورة الاستشفاء الذاتي المستمر، والذي ظلّ نيتشه خلاله منحطًا بشكل خفي، وهذا هو بالضبط السبب الذي يجعل من الاستشفاء الذاتي تغلبًا متكررًا على الذات، وتصبح القدرة على التجدد "إرادة للصحة وللحياة". (96)

***

المادة الخام للفلسفة:

كشف نيتشه عن أصل فلسفته عبر جُملة مُقتضبة وواضحة: "[...] لقد صغت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فلسفتي انطلاقًا من إرادتي في الصحة والحياة..."(97)

قبل عامين من كتابة "هذا هو الإنسان"، صاغ نيتشه في هذا الاقتباس التالي احتمالية أن تكون معايشته للعديد من الحالات الصحية والأمراض أمرًا لا غني عنه لثراء تفكيره الفلسفي: "إنّ الفيلسوف الذي مرّ بالعديد من الحالات الصحية، لا بد أن يكون قد مرّ أيضًا بالعديد من الفلسفات، ولا يسعه إلا أن يحول حالته إلى الشكل الأكثر روحانية في كل مرة، لأن فن التجلي هذا هو الفلسفة عينها، نحن الفلاسفة لسنا أحرارًا في الفصل بين الروح والجسد، ولسنا أحرارًا أكثر في الفصل بين الروح والعقل، ينبغي علينا أن نولد أفكارنا باستمرار من آلامنا، وأن نمدها بكل ما لدينا من دم وقلب ونار وشهوة وعاطفة وعذاب وضمير ومصير وهلاك، تعني الحياة بالنسبة لنا هذا التحويل المستمر لكل ما نحن عليه إلى نور ولهب، بما في ذلك كل ما يُصيبنا، وفيما يتعلق بالمرض، ألا نميل للتساؤل عمّا إذا كان بمقدورنا الاستغناء عنه على الإطلاق؟". (98)

وفي كتاب "هذا هو الإنسان"، شرح نيتشه فلسفته بمعنى مزدوج كنتاج لحالاته المرضية الحرجة وكتعبير عن وجوده: "لا يمكن للطبيعة المرضية بشكل نمطي أن تغدو صحية من تلقاء نفسها، وعلى النقيض من هذا، قد يصلح المرض بالنسبة للطبيعة القوية بشكل نمطي أن يكون محفزًا قويًا على الحياة وعلى وحدة الحياة، وهكذا كانت نظرتي تجاه فترة مرضي الطويلة.

بدا لي آنذاك كما لو أنني قد اكتشفت الحياة من جديد، واكتشفت ما تعنيه نفسي، لقد تذوقت كل الأشياء الطيبة، بل والصغيرة والتافهة منها أيضًا، والتي لا يمكن للآخرين تذوقها بسهولة، لقد صغت فلسفتي انطلاقًا من إرادتي في الصحة والحياة، أرغب أن يكون هذا مفهومًا، ففي تلك السنوات من أشد انحطاط لحيويتي كففتُ عن كوني متشائمًا، حيث منعتني غريزة الاستشفاء الذاتي من تبني فلسفة البؤس واليأس [...]". (99)

تجتمع الجوانب التي نوقشت حتى الآن هنا: الحساسية في تفكير نيتشه، "لقد تذوقت كل الأشياء الطيبة، بل والصغيرة والتافهة منها أيضًا، والتي لا يمكن للآخرين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تذوقها بسهولة"، والتأكيد على الحياة، والتي يغدو للمرض تأثير محفز عليها، "صاغ" نيتشه فلسفته من الجانبين، وولى اهتمامًا خاصًا بألا تُفهم فلسفته على أنها تعبير عن مرضه بل كتعبير عن قوة استشفائه الذاتي، والتغلب المتكرر على الذات.

أشار المقطع المميز بعبارة "أشد انحطاطًا لحيويتي" إلى السنوات بدءًا من عام ١٨٧٩، ويمكننا العثور على فلسفة نيتشه خلال تلك السنوات في أعمال مثل "إنسان مفرط في إنسانيته" و"الفجر".

***

التحرُّر الذَّاتي:

في فصل "لماذا أكتب كتبًا رائعة للغاية"، قدّم نيتشه كتاب "إنسان مُفرط في إنسانيته" باعتباره "رمزًا" للتغلب على الذات، وتحريرها: "شكّل كتابي "إنسان مفرط في إنسانيته" أزمة، إنه يُسمى كتابًا للأرواح الحرة، تكاد تعبُر كل جُملة فيه عن انتصار، وبه حرّرتُ نفسي من كل ما لا ينتمي إلى طبيعي، [...] كان وضع اسم فولتير على إحدى كتاباتي تقدمًا حقيقيًا بالنسبة لي..." (100)

مثل فولتير، الذي أهدى له نيتشه كتابه "إنسان مُفرط في إنسانيته"، عصر التنوير، وكان أيضًا المثل الأعلى للروح الحرة المُستنيرة، يشمل "ما لا ينتمي"، والذي يتحرّر منه نيتشه عبر هذا الكتاب، أيضًا الأمل في أن يغدو قادرًا وراغبًا على تحرير الوجود من خلال المظهر الجمالي، لسنوات رأى نيتشه في موسيقى ومشروع مهرجان بايرويت لريتشارد فاغنر فرصة لإحياء فن يستحوذ على الحياة ويحولها ويكملها في وهج الجمال، يرمز اسم فولتير، الفرنسي المُستنير، إلى رفض نيتشه للألمانية والتزيين المُصطنع للحياة، وبهذه الطريقة يثبت أيضًا انفصاله عن فاغنر، والذي يعد نقطة التحوُّل الثانية -والأعمق- في شخصيته خلال تلك السنوات، بالإضافة إلى تخليه عن منصب الأستاذية في بازل، وبالتالي فلم يظهر اسم ريتشارد فاغنر مرة أخرى منذ كتاب "إنسان مفرط في إنسانيته".

"ما حُسم آنذاك عندي لم يكُن انفصالًا عن فاغنر، بل كان شعورًا بالضلال التام

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لغرائزي، ولم يكن أي خطأ فردي، سواء كان فاغنر أو أستاذيتي في بازل، سوى مجرد عرض مرضي، لقد اجتاحتني نوبة غضب شديدة، ورأيت أنه حان الوقت للعودة إلى ذاتي". (101)

في الاقتباس السابق، رأى نيتشه أن تخليه عن منصب الأستاذية وانفصاله عن فاغنر هو تحرُّر ذاتي من الأخطاء التي عبّرت بشكل عام عن "الضلال التام لغرائزه" وانحطاطه.

في المقدمة اللاحقة لكتاب "إنسان مُفرط في إنسانيته"، وصف نيتشه "اضطرابات" الفلسفة في زمن الشفاء والتحرُّر الذّاتي، حيث ودّع مثالية الوجود الجمالي، ورسم بدلًا منها صورة "للروح الحرة" المتجولة والمضطربة، أدّى تحرُّر نيتشه الذاتي إلى الشعور بالوحدة، وخاصة فيما يتعلق بحياته الخاصة، لا يحدث التجول المُضطرب فقط في الأفكار، ففي السنوات التي تلت عام ١٨٧٩، تجوّل نيتشه نفسه بين جنوب فرنسا وسويسرا وإيطاليا، بحثًا عن أماكن مفيدة له ومواتية لأفكاره.

***

صغائر الحقائق:

تقضي "إرادة نيتشه في الصحة والحياة" على الأوهام الدينية الميتافيزيقية والجمالية من خلال إشارة تنويرية باسم "فلسفة تاريخية [...]، والتي لم يعد من الممكن التفكير فيها بشكل منفصل عن العلوم الطبيعية".(102)

"من سمات الثقافة العليا أن تقدر الحقائق الصغيرة والبسيطة، والتي عُثر عليها بطريقة صارمة أكثر من الأخطاء المُبهجة والمُضللة التي تنشأ من العصور الميتافيزيقية والفنية والبشر".(103)

تتوافق "الحقائق الصغيرة والبسيطة"، التي تحدّث نيتشه عنها في كتاب "إنسان مُفرط في إنسانيته"، مع "كل الأشياء الطيبة، بل والصغيرة والتافهة منها أيضًا، والتي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لا يمكن للآخرين تذوقها بسهولة".(104)، وكذلك يمكن فهم عبارة "إرادة الحياة" -متعددة المعاني، كما هو الحال في- كثير من الأحيان- على أنها قرار بالنظر إلى التفاصيل الحقيقية للحياة وبالتالي تقديرها.

يتوافق أسلوب الكتابة المستخدم في كتاب "إنسان مُفرط في إنسانيته" مع "الحقائق الصغيرة والبسيطة": فقرات نصية قصيرة وموجزة، ومصاغة بعناية، من أجل تكثيف الأفكار العميقة بغرض إبرازها، طور نيتشه هذا الأسلوب في كتبه اللاحقة، وخلال ذلك الوقت، أضحى هذا الأسلوب الناقل الأساسي لآرائه وأفكاره.

وعامة، ليست تلك "الحقائق الصغيرة والبسيطة"، التي سلّط فكر نيتشه التنويري عليها الضوء باعتبارها "فلسفة تاريخية"، غير مُترابطة، ومن خلالها أثبت نيتشه "أنّ الإنسان نتاج للصيرورة، وأن ملكة المعرفة نفسها نتاج للصيرورة أيضًا".(105)، وتُفهم الحقائق والأوهام، وحتى ظاهرة "البشر" أنفسهم، على أنها نتاج لعملية الخلق -أي للصيرورة- كما أنّ "ملكة المعرفة" لا تقدم أي وجهة نظر خارج هذه الصيرورة، وعلى وجه الخصوص، لا تتيح الوصول إلى الحقائق الأبدية.

***

التشاؤم، العدميّة، الانحطاط :

من خلال عبارة "لقد صغت فلسفتي انطلاقًا من إرادتي في الصحة والحياة"، فرّق نيتشه بين فلسفته وفلسفة شوبنهاور، أكّد نيتشه على ذلك في الجملة التالية: "وفي تلك السنوات من أشد انحطاط لحيويتي توقفت عن كوني مُتشائمًا". (106)

أصبح نيتشه الشاب فيلسوفًا، حينما اكتشف أعمال شوبنهاور، تأثر نيتشه الشاب بعمل شوبنهاور الرئيسي "العالم إرادة وتصور" للغاية، واحتلت فلسفة شوبنهاور مكانًا في مثالية نيتشه لتجديد الثقافة، حتى في تلك المقالات غير الملائمة التي نشرها نيتشه قبل "إنسان مفرط في إنسانيته".

صاحب عملية الاستشفاء الذاتي لنيتشه، التي جعلته "يكتشف الحياة من جديد"، تخليه عن المنظور التشاؤمي، الذي ربطه بشوبنهاور، خاصةً مع رفض نيتشه للحكم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على الحياة، التي "لا يمكن تقدير قيمتها" من وجهة نظره.

في السنوات اللاحقة، درس نيتشه فلسفة التعالي، أو فلسفة تجاوز الوجود مرارًا وتكرارًا، وعالجها نيتشه كعرض من أعراض مرض تاريخي ثقافي، أسماه نيتشه "التشاؤم والمسيحية والعدمية"، لعب مصطلح "العدمية" دورًا مركزيًا في مذكرات الفترة من ١٨٨٦ إلى ١٨٨٧، وفي ربيع عام ١٨٨٨، كتب نيتشه: "إنّ العدمية ليست سببًا، بل هي مجرد منطق للانحطاط"(107)، وفي الأشهر القليلة التالية، وسع نيتشه مصطلح الانحطاط، بحيث أصبح سببًا للمرض، والذي يشمل التشاؤم والمسيحية والعدمية على حد سواء.

"بعد كل هذا، هل أحتاج أن أقول إنني مُتخصص في مسائل الانحطاط؟ لقد عرفت دواخل هذه المسائل وخوارجها" (108)، لم يكُن اعتراف نيتشه بأنه المنحط ونقيضه في فصل "لماذا أنا حكيم جدًا؟" مجرد ثرثرة عن الذات، فقد قادتنا تلك الصياغة إلى مركز مصطلحات نيتشه الفلسفية الحالية، وكذلك الفقرات التالية في الفصل ليست مجرد حكايات شخصية وتأملات ذاتية، بل حدّد نيتشه فيها السمات التكميلية لشخصيته، والتي سنناقشها لاحقًا في هذا الكتاب، وخاصة فيما يتعلق "بطبيعة نيتشه الديونيسية".

ولكن من الواضح الآن أنّ هدف فصل "لماذا أنا حكيم جدًا؟" هو إظهار السبب الذي جعل من منظورات نيتشه الفلسفية ممكنة، وهذا السبب هو -وفقًا لتفسير نيتشه الذاتي اللاحق- طبيعته المزودجة "أنا أعرف كليهما، فأنا كلاهما". (109)

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الرابع
الإفتاء في مسألة الأنانيّة
حِكمة نيتشه

شُرُوط ألنمو:

"في هذه المرحلة، هنالك حاجة إلى قدر كبير من التفكير والتأمل، سوف يُطرح السؤال لماذا ذكرت كل هذه التفاصيل التافهة والتي تعتبر -وفقًا للمعايير التقليديّة- غير مهمة؟ يبدو أنني أضر نفسي من خلال القيام بذلك، وخاصة إذا كان مقدرًا لي أن أمثل المهام الكبرى، وإجابتي هي: تعد هذه التفاصيل التافهة، والوجبات، والمناخ، والتعافي والتّجدُد، والإفتاء في مسألة الأنانيّة، أكثر أهمية من أي شيء أعتبر مهمًا حتى الآن". (110)

"قدر كبير من التفكير والتأمل" في نهاية فصل "لماذا أنا ذكي جدًا؟"، اختلق نيتشه اعتراضًا على الفصل، بغرض مواجهته بعد ذلك مباشرة، يُوجه هذا الاعتراض ضد حقيقة أنه في التصور الذاتي للشخص الذي يتظاهر بأن مصيره "تمثيل المهام الكبرى"، يُخصص فصل كامل للحديث عن التفاهات، والأسوأ من ذلك، يتمثل هذا الاعتراض في إضرار نيتشه بنفسه، من خلال الانحدار -إذا جاز التعبير- من "المهام الكبرى" إلى مستوى الثرثرة الرخيصة عن السيرة الذاتيّة.

تبدأ إجابة نيتشه بتلخيص لموضوعات الفصل الرئيسية: "التغذية، المكان، المناخ، التعافي والاسترخاء"، بطريقة تكاد تكون تربويّة، أشار نيتشه إلى الانتقال إلى الموضوع التالي في النص من خلال تلخيص الموضوع السابق، فجاء في بداية الفقرة الثانية: "ترتبط مسألة المكان والمناخ ارتباطًا وثيقًا بمسألة التغذية" (111)، وتبدأ الفقرة الثالثة من خلال هذا الملخص: "اختيار التغذية، اختيار المكان والمناخ، والأمر الثالث الذي لا ينبغي أن نخطئ في اختياره بأي حال من الأحوال هو اختيار طريقة التعافي."

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبعد عدة فقرات طويلة حول طرق التعافي عند نيتشه، تجمع بداية الفقرة الثامنة بين الموضوعات الثلاثة معًا، "وفي كل هذه الأمور -اختيار الطعام، والمكان والمناخ، والتعافي- توجد غريزة الحفاظ على الذات، والتي تعبّر عن نفسها بشكل لا لبس فيه كغريزة الدفاع عن النفس"(112).

جمع نيتشه النماذج المفيدة في حياته في فصل "لماذا أنا ذكي جدًا؟"، وخلق منها في النهاية "إفتاءه في مسألة الأنانية"، يُشير مُصطلح "الإفتاء" في الأخلاقيات إلى دراسة بعض الحالات الفردية والسلوك الصحيح أخلاقيًا في هذه الحالات، ركّز "إفتاء نيتشه في مسألة الأنانيّة" أيضًا على الحالات الفردية، حتى لو لم تُعتبر الأخلاقيات - وفقًا لنيتشه- مقياسًا للسلوك الصحيح.

يتعلق "إفتاء نيتشه في مسألة الأنانية" بالاختيار الحكيم للطعام والمكان والمناخ والتعافي، تعد "هذه التفاصيل التافهة والتي تعتبر، وفقًا للمعايير التقليدية، غير مهمة"، بناءً على رؤية نيتشه، ضرورية لتحقيق الرخاء الفردي، والتنمية المُثلى للقدرات الفردي: "إنني مهتم بمسألة مختلفة تمامًا، والتي يتوقف عليها "خلاص البشرية"، أكثر من اهتمامي بفضول أي لاهوتي، إنها مسألة التغذية، يمكننا صياغة هذه المسألة على النحو التالي: "كيف يمكنكم أن تغذوا أنفسكم بشكل صحيح، لكي تصلوا إلى ذروة قوتكم وفضيلتكم على طراز عصر النهضة - أي الفضيلة المُتحرّرة من الأخلاقيات؟ (113)

"وعلى النقيض منهم، فنحن مَن فتحنا عينًا وضميرًا للسؤال عن مكان وكيفية نمو نبتة "الإنسان" بأقوى نمو نحو الأعلى حتى الآن [...]" (114)، هكذا وصف نيتشه نفسه و"الأرواح الحرة" في كتاب "ما وراء الخير والشر"، وينبطق نفس التركيز على نمو نبتة "الإنسان" على "التفاصيل التافهة" التي تحدّث عنها نيتشه في فصل "لماذا أنا ذكي جدًا؟"، ومع ذلك، يتعلق "هذا هو الإنسان" بحالة فردية خاصة، ألا وهي ظروف حياة نيتشه الخاصة وشروط نموه.

يتردد صدى فكرة أخرى في صيغة "التفاصيل التافهة" بوضوح، ألا وهي "الأشياء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الطيبة، بل والصغيرة والتافهة منها" (115)، والتي تعلّم نيتشه تقديرها ورؤيتها من خلال مرضه، ووصفها في كتابه "إنسان مفرط في إنسانيته" بأنها تطور لفلسفته الخاصة، وفي "هذا هو الإنسان"، كما هو الحال في "إنسان مُفرط في إنسانيته"، استغل نيتشه هذه الظروف الحياتية العادية في مواجهة الأفكار العظيمة والآلهة والحقائق.

إن رد نيتشه على الاعتراض الوهمي لمعاملة "هذه التفاصيل التافهة وفقًا للمعايير التقليدية" هجومي ومشين للغاية.

"وإجابتي هي: تعد هذه التفاصيل التافهة، والوجبات، والمناخ، والتعافي والتجدد، والإفتاء في مسألة الأنانية، أكثر أهمية من أي شيء أعتبر مهمًا حتى الآن، فهنا ينبغي علينا أن نتعلم أن نتجدّد، إن كل ما أخذه البشر بعين الاعتبار ليس حتى حقائق، بل مجرد خيالات، أو بمنعى أدق "أكاذيب" تنطلق من الغرائز الشريرة للطباع المرضية والضارة، كل المفاهيم "الألوهية"، "الروح"، "الفضيلة"، "الخطيئة"، "الآخرة"، "الحقيقة"، "الحياة الخالدة"، وبالرغم من كل هذا، فقد بحث الناس فيها عن عظمة الطبيعة البشرية، لقد زُيفت جميع المسائل الخاصة بالسياسة والنظام الاجتماع والتربية من قمة رأسها إلى أخمص قدميها؛ بسبب النظر إلى الأشخاص الأكثر ضررًا على أنهم أكثر الناس عظمة، وبسبب تعلم الناس ازدراء "التفاصيل الصغيرة"، والتي هي أساس الحياة نفسها...". (116)

عند هذه النقطة، تنغلق الدائرة، ويبدأ فصل "لماذا أنا ذكي جدًا؟" بإجابة نيتشه الموجزة على العنوان: "لماذا أعرف أكثر من الآخرين؟ لماذا أنا ذكي جدًا؟ لم أفكر أبدًا في أسئلة ليست أسئلة حقًا، ولم أهدر قواي أبدًا". (117)

تتوافق الأسئلة التي ليست أسئلة مع "الأكاذيب" التي تحداها نيتشه في نهاية الفقرة، ووضع في مواجهتها "التفاصيل الصغيرة" المساهمة في ازدهار القدرات الفردية، قبل أن يشرع نيتشه في وصف النظام الغذائي لحياته، بدأ نيتشه الفصل برفض شخصي للغاية لتلك "الأكاذيب"، لا يرغب نيتشه في معرفتهم من خلال تجربته الشخصية، فينأى بنفسه عنهم: "فعلي سبيل المثال، ليست لديّ خبرة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالمشاكل الدينية الحقيقة، فأنا لست على ألفة بالشعور "بالخطيئة"، وافتقر في نفس الوقت إلى معيار صادق يمكنني من تحديد ماهية تأنيب الضمير: ومما أسمعه، لا يبدو لي تأنيب الضمير شيئًا جديرًا بالاحترام والتبجيل، لا أرغب في التخلي عن أي فعل من أفعالي بعد ذلك، أفضل ترك النتيجة السيئة، خارج أي مشكلة تتضمن القيم، ففي وجه النتائج الشريرة، من السهل للغاية فقدان الوجهة الصحيحة التي أنظر منها إلى الحدث، يبدو تأنيب الضمير بالنسبة لي وكأنه "عين شريرة"، إذا فشل شيء ما، فينبغي أن يُكرم على نحو أفضل، ليس من أجل شيء سوى أنه فشل، وهذا ما يتفق جيدًا مع أخلاقياتي، "الله"، "خلود النفس"، "الخلاص"، "الآخرة"، هذه كلها مفاهيم لم أعرها أي اهتمام، ولم أضيع إزاءها أي وقت حتى عندما كنت طفلًا، ربّما لم أكُن طفلًا بما فيه الكفاية لذلك؟ أنا لست على دراية بالإلحاد نتيجة لذلك، فالمسألة بالنسبة لي مجرد مسألة غريزية، إنني فضولي للغاية، وشكاك على نحو مفرط ومغرور على نحو شديد، فلا أقبل بالحل الواضح والسهل للأشياء، يعد الله حلًا واضحًا وسهلًا؛ حل وقح تجاهنا نحن -المُفكرين- وفي الأساس، ليست "الألوهية" سوى "أمر" فج ضدنا، لكيلا نفكر". (118)

وعند هذه النقطة، شكّل نيتشه المادة الخام لسيرته الذاتية بحرية تامة، لكي يوضّح رفضه للدين والأخلاقيات والأفكار الميتافيزيقية، في "ذكريات حياته"، التي كتبها لنفسه في عام ١٨٧٨ أثناء سيره على الطريق الفلسفي الطويل لكي يغدو في نهايته "روحًا حرة" متنورة، أشار نيتشه إلى دور الدين في طفولته على نحو مختلف قليلًا: "لقد رأيت الله في البهاء حينما كنت طفلًا، تعد أول أطروحة فلسفية عن أصل الشيطان هي "الله يفكر في نفسه فقط، ولا يمكنه فعل ذلك إلا من خلال تخيل نقيض له"، بعد ظهر يوم كئيب من الخدمة في كنيسة بفورتا، أضحت أصوات الأرغن بعيدة، وباعتباري قريبًا لأحد القساوسة، فقد كان لي نظرة ثاقبة مبكرة في ضيق الأفق العقلي والعاطفي، والكفاءة، والفخر، والزينة". (119)

استكمل نيتشه ابتعاده -الملحوظ بالفعل في أطروحته الفلسفية حول أصل الشيطان- عن بيئته العائلية البروتستانتية على وجه التحديد في "هذا هو الإنسان".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

***

الذوق كوسيلة للدفاع عن النفس:

وصف نيتشه في فصل "لماذا أنا ذكي جدًا؟" الغريزة الانتقائية التي جعلته ينأى بنفسه عن المعتقدات الدينيّة والأخلاقيات كشكل خاص من أشكال الدفاع عن النفس: "إنّ تحديد ما يسمعه الإنسان، وما يراه، وانتزاع الإنسان لنفسه من عدة أشياء، هذه هي الحكمة الأولى، وأول برهان على أنّ الإنسان ليس صدفة، وإنما ضرورة، إن الكلمة المعتادة لهذه الغريزة للدفاع عن النفس هي الذوق، ومن أوامره الحتمية ألا يقتصر الأمر على قولنا لكلمة لا، حيث تغدو نعم "نكرانًا للذات"، فبدل أن نقول نعم يجب علينا قول لا (على نحو نادر قدر الإمكان)، وينبغي على الإنسان فصل نفسه عن أي شيء يرغمه على قول كلمة "لا" مرارًا وتكرارًا". (120)

يُصبح الذوق هو العضو المركزي لـ"الإفتاء في مسألة الأنانيّة"، كما يجيب على السؤال المركزي حول الغذاء والظروف المعيشية المواتية وشروط النمو للحالة الفردية "كيف يمكنكم أن تغذوا أنفسكم بشكل صحيح، لكي تصلوا إلى ذروة قوتكم [...]؟".

يعد الذوق وسيلة للدفاع عن النفس والحفاظ على الذات؛ بمعنى أنه يحدد الاختيار المناسب لكل حالة فردية على حدة، وبالتالي يرسم الخط الفاصل بين الذات والآخرين، تحدّث نيتشه هنا عن أصل ومصدر هذا الذوق، إن أصل ومصدر هذا الذوق هو الحالة الفردية، الفرد، تعتبر الأحكام العامة للذوق، وفقًا لإحدى فقرات كتاب "العلم المرح"، آثارًا ثانوية.

***

تغيُّر الذوق:

إنّ تغيُّر الذوق العام مهم أكثر من تغيُّر الآراء، فالآراء بكل أدلتها ودحوضاتها وبكل تهكمها الفكري ما هي إلا أعراض لتغيُّر الذوق وليست بالتأكيد أسبابًا لهذا التّغيُّر كما نفترض، كيف يتغيّر الذوق العام؟ بسبب تعبير الأفراد المُنعزلين، والأقوياء، وذوي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المكانة، بلا حياء عن سخريتهم وعبثهم، أي الحكم على أذواقهم واشمئزازهم، وفرضوها بطريقة مستبدة، وبذلك يفرضون قيوذا على الكثيرين إكراهًا، والتي تغدو شيئًا فشيئًا عادةً لدى عدد كبير من الناس وفي النهاية تغدو ضرورة بالنسبة للكل، يعود السبب الذي يجعل هؤلاء الأفراد يشعرون ويتذوقون بشكل مختلف عادة إلى فرادة أسلوب معيشتهم، ونظامهم الغذائي، وتغذيتهم، وزنًما لكثرة أو قلة الأملاح غير العضوية في دمائهم ودماغهم، وباختصار في أجسادهم، فقد تحلو بالشجاعة للاعتراف بأجسادهم والاستماع إلى مقتضياته حتى في أدق تفاصيلها، إن أحكامهم الجمالية والأخلاقية مطابقة للمقتضيات الدقيقة لأجسادهم". (121)

إنّ التمثيل الغذائي للفرد، وكامل اللياقة البدنية له، هي أصل هذا الذوق، وتوفر حساسيته الدقيقة للظروف المعيشية المناسبة أساس الأحكام الأخلاقية والجمالية، لتقييم الأفعال والجمال، وبقدر ما يُعبّر عن احتياجات الجسد والتمثيل الغذائي من خلال الذوق العام، فإن الذوق هو "غريزة الدفاع عن النفس" التي تحدّث عنها نيتشه في "هذا هو الإنسان"، وبالذوق يصل الإنسان إلى نفسه، عن طريق فصل ما هو نافع له عمًا هو ضار له، وما ينتمي له عمًا لا ينتمي له.

***

وصفة التدهور والهلاك:

إنّ المغزى من فصل "لماذا أنا ذكي جدًا؟" هو ربط نيتشه للعنوان الفرعي "كيف تُصبح ما أنت عليه؟" بـ"فن الحفاظ على الذات" الغريزي، الذي يتحكّم الذوق فيه.

"وهنا لا يمكنني تجنّب الإجابة المباشرة عن سؤال "كيف تُصبح ما أنت عليه؟"، وبهذا أتطرق إلى اللمسة البارعة لفن الحفاظ على الذات: الأنانية...". (122)

حينما شدّد نيتشه فيما بعد على "أن تصبح ما أنت عليه، يفترض أنه ليس لديك أدنى شك فيما أنت عليه"، تحمل الأنانية هنا على الفور معنى مزودج، فتغدو إمّا البحث عن الذات أو البحث عن الطريق إليها، وبالرغم من ذلك، لا ينبغي الافتراض بأن هذا الجهل بما عليه الإنسان مجرد نقطة انطلاق للطريق إلى الذات، بل -

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بحسب رؤية نيتشه- ينبغي اعتباره شرطًا ضروريًا على المدى الطويل لعدم ضياع هذا الطريق: " فلنفترض أن مهمة حياة الإنسان ومصير هذه المهمة تفوق جميعها تقديرات المعيار المتوسط، فلن يكون هناك خطر أكبر من اضطرار الإنسان إلى مواجهة نفسه في هذه المهمة، أن يصبح الإنسان ما هو عليه، يفترض أنه ليس لديه أدنى شك فيما هو عليه، تعطي وجهة النظر هذه معنى وقيمة فريدين حتى لأخطاء وتخبطات الحياة، والمسارات الجانبية المؤقتة، والانحرافات، والترددات، والتواضع، والاهتمامات المضاعة على المهام البعيدة عن هذه المهمة". (123)

إنّ حجة نيتشه مُثيرة للدهشة حقًا، ولكن ففي النهاية، من المفيد حقًا معرفة وجهتك عند البحث عن طريق، ومن ناحية أخرى، تشير الصيغة الغريبة "كيف تُصبح ما أنت عليه؟" إلى أن الوجهة موجودة دائمًا بالفعل "أنت هو" بالفعل "ما تُصبح عليه".

لا يتعلق الأمر بالاعتراف بما نحن عليه، فلا يصف كتاب نيتشه "هذا هو الإنسان" طريق التعرُّف على الذات، بل يتعلق الأمر بحل "المهمة" والعثور على "الوجهة".

أصبحت العبارة اللاتينية "Γνῶθι σεαυτόν Gnóthi seautón" (اعرف نفسك) المنحوتة في معبد أبولو بدلفي، شعارًا للفسلفة الغريبة المنبثقة من اليونان، وصف نيتشه هذا الطلب (في الترجمة اللاتينية: "nosce te ipsum") بأنه "وصفة للتدهور والهلاك": "وفي هذه الأمور (في أخطاء الحياة) يمكن التعبير عن حكمة عظمية، بل رُبّما أعظم حكمة؛ حيث تصبح "nosce te ipsum" وصفة للهلاك، وسيغدو نسيان الذات، وسوء فهمها، والتقليل منها، والتضييق عليها، هو العقل بحد ذاته، وفي هذه الحالة الاستثنائية، أقف -خلافًا لقواعدي ولقناعاتي- في صف الميول "اللاأنانية"، فهي تعمل على خدمة الأنانية والانضباط الذاتي". (124)

ذكر نيتشه في إحدى فقرات كتاب "الفجر"، والتي تحمل عنوان "ما يُسمى بعالم الذات"، أنّ العلاقة بين البصيرة والعمل هي تحيُّز نظري، فالعمل الصحيح لا ينبع بالضرورة من المعرفة، وبالتالي فإن معرفة الذات لا تسهم بالضرورة في تحقيق "وجهة" الإنسان: "كان سقراط وأفلاطون [...] مؤمنين على نحو بريء فيما يتعلق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بذلك التحيز الخطير، ذلك الخطأ الفادح، الذي يزعم أن "الفهم الصحيح ينبغي أن ينتج عنه فعل صحيح"، لقد جعلهما هذا المبدأ وريثين للجنون والفطرسة، اللذان يزعمان أننا نعرف جوهر وطبيعة فعل ما، "سيكون أمرًا فظيعًا إذا لم يتبع فهم جوهر الفعل الصحيح فعل صحيح" هذه هي الطريقة الوحيدة التي اعتقد هذان الرجلان العظيمان أنها ضرورية للبرهنة على هذه الفكرة، فقد بدا لهما العكس جنونًا وغير وارد، وبالرغم من ذلك، فإن هذا العكس هو الواقع المجرد، الذي تتم البرهنة عليه كل يوم وكل ساعة منذ الأزل [...]". (125)

فسر الافتقار إلى الارتباط بين المعرفة والعمل عدم جدوى معرفة الذات في محاولة الإنسان لأن يصبح ما هو عليه، إن معرفة الذات ضارة لأنها تؤدي إلى مطالب مُزعجة، فأنت لا تصبح ما أنت عليه من خلال الأخذ في الاعتبار باستمرار ما يفترض أن تكون عليه، وبناءً على ذلك، ينبغي في البداية تجنب المطالب المُزعجة والأوامر، "يجب أن يُبقى الإنسان السطح الكلي للوعي خاليًا من الأوامر الكبرى".(126)

***

خطيئة النّفس:

تقودنا إضافة نيتشه لعبارة "سطح الوعي" إلى تبرير آخر أشد راديكالية لضرر معرفة الذات، ففي الكتاب الخامس من "العلم المرح"، والذي أضيف عام ١٨٨٧، خصص نيتشه فصلًا كاملًا حول "مشكلة الوعي" (127)، حيث أكّد فيه على إمكانية الاستغناء عن الوعي :"ستغدو الحياة بأكملها ممكنة دون الحاجة إلى الانعكاس، حيث يستمر الجزء الأكبر من الحياة في المضيّ فعلًا دون الحاجة إلى مثل هذا الانعكاس، بما في ذلك حياتنا الفكرية والمحسوسة والمريدة، وهو ما يبدو مهينًا بالفعل لفيلسوف قديم"(128)..

يطرح سؤال "لماذا نشأ الوعي؟" نفسه بشدة، قدّم نيتشه تفسيرًا رائعًا لهذا السؤال، فقد اعتبر الوعي مجرد وسيلة للتواصل، يحتاج الإنسان "الحيوان الأكثر غرضة للخطر" إلى مساعدة الآخرين، ولكي يتمكن من الحصول على هذه المساعدة، "توجب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عليه التعبير عن حاجته وأن يجعل نفسه مفهومًا، ولتحقيق ذلك، كان لا بد أولًا أن يكون لديه وعي، ليعرف بنفسه ما ينقصه، وليعرف كيف يشعر وكيف يفكر"(129)، ولذلك افترض تفسير نيتشه أنّ "الوعي بشكل عام لم ينشأ إلا تحت ضغط الحاجة إلى التواصل"(130).

لنقل مرة أخرى، يُفكّر الإنسان باستمرار مثل سائر الكائنات الحيّة، لكنه يجهل ذلك، والأفكار التي تصير واعية ليست سوى جزء صغير جدًا، الأكثر سطحية وضعفًا، لأن هذه الأفكار الواعية لا تحدث إلا في الكلمات، أي في إشارات التواصل، التي ينكشف بها تلقائيًا أصل الوعي، باختصار إن تطور اللغة وتطور الوعي (وليس العقل قط) يسيران جنبًا إلى جنب، [...] إن الإنسان المخترع للإشارات هو في نفس الوقت الإنسان الذي يزداد وعيه بذاته أكثر فأكثر، ولم يتعلم أن يفعل ذلك إلا بسبب كونه حيوانًا اجتماعيًا، إن فكرتي، كما ترون، هي أنّ الوعي لا ينتمي في الواقع إلى الوجود الفردي للإنسان، بل إلى كل ما هو جزء منه كمجتمع وكطبيعة قطيعية، [...] ورغم رغبة كل واحد منّا في أن يفهم ذاته فرديًا قدر المستطاع، إلا أنه لن يفعل شيئًا سوى أن يجلب إلى وعيه ما هو غير فردي"(131).

ينصب التركيز هنا على التواصل، والذي يخطئ بالضرورة في الأمور الخاصة بسبب استخدام وسائل التعبير العامة، ومن خلال ربط نيتشه للوعي بالحاجة إلى التواصل، ينتقل الفهم الخاطئ للأمور الفردية إلى فهم الشخص لذاته.

وهنالك سبب آخر يجعل معرفة الذات الخادمة لهدف أن يصبح الإنسان ما هو عليه ضارة، والسبب هو أن "كل ما يصبح واعيًا يجد نفسه في الوهلة ذاتها مسطحًا، ورقيقًا، وغبيًا نسبيًا، وعلامة على القطيع، ويرتبط كل ما يصبح واعيًا بفساد شامل وتزييف وسطحية، وتعميم"(132).

"ليس هنالك شك في أنّ أفعالنا جميعها شخصية بطريقة لا تضاهى، فردية وفريدة من نوعها، وغير محدودة، ولكن بمجرد أن نترجمها إلى الوعي، فإنها لم تعد تبدو كذلك...".(133)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كيف يُصبح الإنسان ما هو عليه؟ تتمثل إجابة نيتشه على عنوان الكتاب الفرعي في قوله: "فليترك الإنسان الأمور تسير في مجراها الطبيعي"، تفترض هذه الإجابة أنّ الفردية ليس لها مكان في الوعي الذاتي، بل تظهر من خلال تجليات الحياة، وفي ذات الوقت، تدعو هذه الإجابة على نحو راديكالي إلى التشكيك في إمكانية فهم الإنسان لنفسه، نظرًا لأنّ التواصل والفهم يسطحان ما هو مميز في الفرد.

وفي النهاية، تعني إجابة نيتشه، والتي تبدو بسيطة للوهلة الأولى، أن تطور الشخص يتجاوز معرفته بذاته وبالتالي يتجاوز سيطرته الواعية، وفي الوقت نفسه، ينفي نيتشه أنّ للوعي، الذي يبدو أن العالم والذات ينعكسان في ضوئه، دورًا كمراقب ومأمور.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الخامس

جوَلات

مسألة التغذية:

"إنني مُهتم بمسألة مختلفة تمامًا، والتي يتوقف عليها "خلاص البشرية"، أكثر من اهتمامي بفضول أي لاهوتي، إنها مسألة التغذية"(134).

من خلال هذه العبارة، بدأ نيتشه بالتجول في ظروفه المعيشيّة بأسلوب ثرثار ومسلي، من المنطقي استكشاف فقرات أطول من "هذا هو الإنسان" في جولة واحدة متواصلة والتعليق عليها بشكل عابر فقط، فبهذه الطريقة فقط يمكن أن يبرز الأسلوب الثرثار والمسلي لهذه النصوص، وبهذه الطريقة فقط يُمكننا ملاحظة التبديل السريع بين الحديث عن السيرة الذاتية والأفكار المرتبطة بالمحتوى والتعليقات.

تتعلق أولى هذه الفقرات بالتغذية، ففي البداية، ذكر نيتشه أنه لم يعثر على نظام غذائي مفيدًا له إلا في وقت متأخر جدًا، وفسّر فشله هذا بسبب "تفاهة ثقافتنا الألمانية -مثاليتها-"، إنه اتهام متكرر ضد مثالية هذه الثقافة؛ بسبب تفضيلها للمُثل العليا الجوفاء على "التفاصيل الصغيرة" الجوهرية، وتطرق نيتشه إلى ظروف حياته في نامبورغ، مكان إقامة عائلته بعد وفاة والده، وفي بفورتا، مدرسته الداخلية، وثم في لايبزيغ، المدينة التي درس بها ابتداءً من عام ١٨٦٥، وذكر في النهاية أماكن إقامته المُفضّلة في الثمانينيات، سيلس ماريا في إنجادين، ونيس، وتورينو.

استغل نيتشه كل فرصة تتاح له في "هذا هو الإنسان" للنأي بنفسه عن القومية الألمانية، وعن الثقافة الألمانية المعاصرة وغير المُعاصرة، وبالطبع عن ألمانيا كلها ككيان سياسي وجغرافي، ودُمجت الملاحظات والذكريات في مناقشة عادات الطعام والشراب المفيدة.

"تفسر تفاهة ثقافتنا الألمانية -مثاليتها- لي -إلى حد ما- سبب تخلفي وجهلي المُقبع فيما يخص هذه المسألة، فمنذ البداية، تقوم هذه "الثقافة" بتعليم الإنسان

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أن يفقد بصيرته إزاء الحقائق، وأن يسعى بدلًا من ذلك وراء ما يُسمى بالأهداف المثالية، فعلى سبيل المثال "الثقافة الكلاسيكية"، كما لو لم يكن محتمًا علينا منذ البداية أن نوحد كلمتي "الكلاسيكي" و"الألماني" في مصطلح واحد، ومما يدعو للسخرية حقًا، مجرد تخيل مواطن من لايبزيغ كمثقف كلاسيكي! في الواقع، عليّ أن أعترف بأنه حتى سن النضج كنت دائمًا ما أتناول طعامًا سيئًا، وإذا أردت التعبير عن هذا بالمصطلحات الأخلاقية فيجب أن أقول، كان طعامي "غير شخصي" و"غير أناني" و"إيثاريًا"، من أجل خلاص الطباخين وغيرهم من الرفاق المسيحيين، وعلى سبيل المثال، بفضل طعام لايبزيغ ودراستي الأولى لشوبنهاور (١٨٦٥)، أنكرت بشدة إرادتي للحياة، يبدو لي أنه يتم حل مسألة تلف معدة الإنسان بسبب سوء تغذيته من خلال الطعام السالف ذكره على نحو مثير للإعجاب، يقال إنه في عام ١٨٦٦ أدخلت تغييرات على هذا الطعام، ولكن بالنسبة للطعام الألماني بشكل عام، ما زال يرد الحساء قبل الوجبة في كتب الطبخ الفينيسية، وبالإضافة إلى ذلك، تطبخ اللحوم حتى تضيع نكهتها، وترقق الفطائر حتى تصبح في سمك الورق، وإذا أضفت إلى كل تلك الاحتياجات الوحشية للقدماء، وليس قدماء الألمان فقط، فستتمكن من فهم أين يقع أصل العقل الألماني، يقع في موضع مضطرب متعلق بالمعدة والأمعاء، يُعاني العقل الألماني من عسر هضم، فهو لا يستطيع التعامل مع أي شيء، ويعد النظام الغذائي الإنجليزي، مقارنة بالنظام الغذائي الألماني وحتى الفرنسي، بمثابة العودة إلى الطبيعة، أي إلى أكل لحوم البشر، وهذا ما يتعارض بشدة مع غرائزي، فيبدو لي أنه يعطي العقل قدمًا ثقيلة، كقدم امرأة إنجليزية، لا تناسبي الكحوليات، فكأس واحد من النبيذ أو البيرة في اليوم يكفي لجعل حياتي بائسة، أمّا في ميونخ فالناس على النقيض من ذلك، وعلى الرغم من فهمي لهذا الأمر متأخرًا بعض الشيء إلا أنني اختبرته بالفعل منذ الطفولة، عندما كنت صبيًا اعتبرت شرب النبيذ وتدخين التبغ من العادات السيئة، وربّما كان نبيذ نومبورغ هو المسؤول عن هذا الحكم المرير، لكي أؤمن أن النبيذ يبهجني، كان يجب عليّ أن أغدو مسيحيًا، وأن أؤمن بأشياء سخيفة بالنسبة لي، وما اعتبره أمرًا غريبًا هو أنه بينما كانت الكميات القليلة من الكحول تحط من قواي النفسية والعقلية، كانت الكميات الكبيرة تجعلني أشعر وكأنني بحار يبحر من شاطئ إلى آخر، لقد ظهرت شجاعتي في هذا المضمار

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حتى وأنا صبي، إن كتابة أطروحة لاتينية طويلة ومن ثم نسخها في ليلة واحدة، والطموح لمحاكاة قلمي لصرامة وشدة قدوتي الكاتب الروماني سالوست، كان هذا هو الحال عندما كنت طالبًا في مدرسة بفورتا الموقرة، وبالطبع لم يكن هذا الحال ملائمًا لفسيولوجيتي، ولا لسالوست، لقد لائم المدرسة الموقرة فقط، ولاحقًا، في منتصف حياتي أصبحت أكثر حسمًا فيما يخص المشروبات الكحولية، إنني معارض للعيش على النباتات فقط من خلال تجربتي مثل ريتشارد فاغنر، الذي هو على النقيض مني، لا يستطيع أن يوصي بمزيد من الطبائع "الروحية" للامتناع عن إدمان الكحوليات بجدية كافية، يلبي الماء نفس الغرض، أفضل الأماكن التي يتاح لي فيها الفرصة للشرب من النوافير المتدفقة والجداول الجارية، كما في نيس، وتورينو، وسيلس؛ حيث يتواجد الماء أينما أستدير، يبدو أنني على خلاف مع العالم كله حول مفهوم "الحقيقة" في عبارة "توجد حياة في النبيذ"، فبالنسبة لي، تطفو الروح فوق الماء، إليك المزيد من النصائح المستمدة من أخلاقياتي، يمكن هضم الوجبة الثقيلة بسهولة أكثر من الوجبة الخفيفة، يعد الشرط الأول لعملية الهضم الجيدة هو أن تصير المعدة فعّالة بالكامل، ولذلك يتوجب على الإنسان معرفة حجم معدته، وللسبب نفسه، لا أوصي بتلك الوجبات المسماة بالولائم، والتي توضع على المائدة للضيوف، وأوصي أيضًا بعدم تناول الوجبات الخفيفة بين الوجبات الرئيسية وعدم شرب القهوة، لأنّ القهوة تجعل الإنسان كئيبًا، كما أوصي بشرب الشاي في الصباح فقط وبكميات قليلة، ولكن على أن يكون ثقيلًا، فقد يضرك ويوجع معدتك طوال اليوم إذا كان خفيفًا، هنا لكل شخص منا معياره الخاص وغالبًا ما يكون أضيق الحدود وأكثرها دقة، وفي المناخ المضطرب، لا أوصي بتناول الشاي في بداية اليوم، بل يستحسن أن تتناول فنجانًا من الكاكاو الثقيل غير المخلوط بأية زيوت قبل شرب هذا الشاي بساعة، وعلاوة على ذلك، أوصيكم بالجلوس في مقاعدكم وقت أقل من المعتاد قدر الإمكان، ولا تؤمنوا بأي فكرة لم تولد في الهواء الطلق، ولا تؤمنوا أيضًا بأية فكرة لا تحتفل فيها عضلاتكم بالعيد، تنبع كل الأحكام المسبقة من الأمعاء، إن "الجسد القابع في مكانه"، كما ذكرت من قبل، هو الخطيئة الحقيقية ضد الروح القدس"(135).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"أوصيكم بالجلوس في مقاعدكم وقت أقل من المعتاد قدر الإمكان"، تخلى نيتشه فجأة وعلى نحو غير متوقع عن مسألة التغذية واتجه لوصف الحركة الجسدية كشرط أساسي لإنشاء أفكار موثوقة، وبالرغم من ذلك، فقد ظل هناك اتصال بمسائل الهضم "تنبع كل الأحكام المسبقة من الأمعاء"، وتعد تلك العبارة السابقة مهمة للغاية، لأنها تثبت أن المحور الأساسي لهذا المقطع ليس مسألة التغذية بل التفكير، "الروح القدس".

استخدم نيتشه عبارة تشير في الأصل إلى روح الله: " فبالنسبة لي، تطفو الروح فوق الماء"، والتي تعد اقتباسًا من الجُمل الافتتاحية للكتاب المقدس(136)، عبّر نيتشه علانية أيضًا عن التوجُّه المُعادي للمسيحية، والذي يكمُن في تفاصيل النص السابق: "لكي أؤمن بأن النبيذ يبهجني" -والذي يلعب دورًا مقدسًا في العشاء الأخير المسيحي- "كان يجب عليّ أن أغدو مسيحيًا، وأن أؤمن بأشياء سخيفة بالنسبة لي".

ومن التفاصيل المُثيرة للاهتمام أيضًا: كون ريتشارد فاغنر هو من أثنى نيتشه عن تبني نظام غذائي نباتي، لقد تلا نيتشه تفاصيل سيرته الذاتية بدقة تامة، ويمكننا ملاحظة أنّ المعلومات الخاصة بسيرته الذاتية المذكورة في "هذا هو الإنسان" أكثر دقة وأصالة ممّا قد تبدو عليه للوهلة الأولى، تثبت رسالة نيتشه المرسلة إلى كارل فون غيرسدورف بتاريخ ٢٨ سبتمبر ١٨٧٩، أنّ نيتشه افترض منذ ذلك الحين -نتيجة لاعتراضه على نظام فاغنر الغذائي النباتي- أنّ للتغذية تأثير مباشر على موقفه من الحياة وطريقة تفكيره: "أقضي الآن بضعة أيام مرة أخرى مع شخص مارس هذا الامتناع [النظام الغذائي النباتي] لسنوات، ويمكنه التحدُّث عنه، إنه ريتشارد فاغنر، لقد أظهر لي، من خلال عاطفته الشديدة وبخطابه قوي، كل ما يخص تلك النظرية وممارستها [...] وأدرك الآن أيضًا أن الامتناع المؤقت عن تناول اللحوم لأسباب غذائية، قد يكون مفيدًا للغاية، ولكن لماذا، على حد تعبير غوته، "نجعل منه دينًا"؟ [...] عادة ما يكون الأشخاص القادرين على تناول الأغذية النباتية فقط قادرين أيضًا على مجاراة كل الأشياء الاجتماعية والاشتراكية"(137).

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المناخ والمكان:

في بداية المقطع الخاص باختيار المناخ والمكان، أكّد نيتشه أهمية هذا الاختيار، حيث يمكن أن يفشل حل مهمة كبرى -وفقًا لرؤيته- بسبب أي اختيار خاطئ، ويظهر بوضوح في هذا المقطع اهتمام نيتشه بشروط نجاح "الروح"، أي التفكير الحي النشط، وأشار نيتشه أيضًا إلى التأثيرات الفسيولوجية للمكان والمناخ على التمثيل الغذائي، ومن ثم أدرج "الروح" نفسها ضمن مفهومه عن التمثيل الغذائي: "إن الروح نفسها ليست سوى شكل من أشكال هذا التمثيل الغذائي"، تتوافق هذه الصيغة مع نهج "فهم التفكير كعلامة على الحياة"، وعلاوة على ذلك، فقد استغل نيتشه هذا المقطع ليناى بنفسه عن الألمان مرة أخرى.

"[...] ليس هنالك منّا، مَن هو حر في العيش في أي مكان، ومَن يتعين عليه حل المهام الكبرى، التي تتطلب كل طاقته، ليس أمامه في هذه الحالة إلا خيارات محدودة للغاية، إنّ التأثير المناخي على عملية التمثيل الغذائي، سواء تثبيطه أو تسريعه كبير للغاية، لدرجة أنّ الخطأ في اختيار المكان والمناخ لا يمكن أن ينفر المرء من مهمته فحسب، بل قد يحول بينه وبين هذه المهمة تمامًا، فلا يتواجه معها أبدًا، لم تسد القوة الحيوانية فيه إطلاقًا إلى درجة تركه يحصل على تلك الحرية المفرطة التي تفيض به إلى أكثر الأمور روحانية، حيث يمكنه أن يقول لنفسه: أنا وحدي أستطيع فعل ذلك...".(138)

امتدت قائمة الأماكن والظروف المعيشية السابق ذكرها لتشمل بازل أيضًا: "ونومبورغ، وبفورتا، وتورينغن بصفة عامة، ولايبزيغ، وبازل، وغيرها العديد من الأماكن الخاطئة بالنسبة لتكويني الفسيولوجي"، وبالرغم من ذلك، فقد تجاوز الخطأ اختيار المكان، حيث ثبت أنّ عمل نيتشه كأستاذ لعلم اللغات القديمة في بازل كان خطأً أيضًا.

وفي هذا المقطع الخاص باختيار المناخ والمكان، تردد صدى فكرة "المرض الشافي" مرة أخرى، فهو وحده مَن حرّر نيتشه من "الأماكن المُحرّمة بالنسبة له"، وعالجه فلسفيًا من "المثالية"، وفي نهاية المطاف، منحه هذا المرض، الذي أعتقه من

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أستاذيته في بازل، الفرصة لقضاء السنوات العشر الأخيرة قبل "هذا هو الإنسان" - أو أخطر سنوات حياته حسب وصفه لها- في أماكن ملائمة له، وخلال هذه السنوات العشر، كتب نيتشه الجزء الرئيسي من كناباته: شكّل عمله الفكري خطرًا على حياته، ممّا جعله مُنعزلًا أكثر من ذي قبل.

***

القراءة:

في كتاب "هذا هو الإنسان"، اعتبر نيتشه القراءة جزءًا من عمله كعالم فقه اللغة فقط: "كان مرض عيني كافيًا لجعلي أتوقف عن التهام الكتب مثل الدودة، أو بمعنى أكثر صراحةً التوقف عن فقه اللغة، لقد حُررت من الكتب، وظللت لعدة سنوات لا أقرأ، وهذه أعظم هبة منحتها لنفسي! تلك الذات الجوهرية التي دفنتها حتى فقدت معالمها وأجبرتها على الإنصات للنفوس الأخرى باستمرار (وهذا هو ما تعنيه القراءة بالنسبة لي)، استيقظت ببطء وبخجل، ولكنها في النهاية تحدثت مرة أخرى". (139)

وفي فصل "لماذا أنا ذكي جدًا؟"، تتحوّل القراءة إلى استماع، ويتحوّل الاستماع إلى اندفاع صاخب نحو أفكار الآخرين، وذلك ما يؤدي دائمًا إلى خطر تجاهل المرء لأفكاره الخاصة: خطر فقدان ذاته.

إنّ القراءة المُريحة، التي تحدّث عنها نيتشه في "هذا هو الإنسان"، هي قراءة "الكتب الطريفة"، والسؤال الذي طرحه نيتشه فيما بعد هو "هل يمكن لهذه الكتب أن تكون كتبًا ألمانية؟"، أجاب المقطع التالي لهذا السؤال بالنفي القاطع، حيث يعد هذا المقطع مديحًا في الأدب والثقافة الفرنسية فقط، أستشهد بكوزيما فاغنر، ابنة الملحن فرانز ليزت التي تلقت تعليمها في فرنسا، كمثال نادر للتعليم العالي في ألمانيا، وبصرف النظر عن شكسبير -"العبقري الجامح"- فقد ذكر نيتشه أسماءً فرنسية فقط، وفي نهاية ذلك المقطع، ذكر نيتشه بعض النكات الملحدة التي تبادلها مع الروائي الفرنسي ستندال(140).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"[...] وفي حالتي، تعد القراءة بشكل عام جزءًا من استرخائي، وبالتالي فهي جزء مما حرّرني من نفسي، وسمح لي بالتجول في العلوم والأرواح الغريبة، التي لم أعد أخذها على محمل الجد، تريحني القراءة فقط من جديتي، عندما أنهمك في أعمالي، لا يُشاهد أي كتاب بالقرب مني، إنني حريص على ألا أسمح لأي شخص بالتحدث أو حتى بالتفكير في حضرتي [...]"(141).

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل السادس

الأدب

كُتب نيتشه

الكُتب والإرث الأدبي:

يعد فصل "لماذا أكتب كتبًا رائعة للغاية" هو الأطول في كتاب "هذا هو الإنسان"، فبعد ستة فقرات تمهيديّة، بدأ نيتشه في تقديم جميع كُتبه التي صدرت حتى ذلك الحين بشكل فردي وتنظيمها في صورة شاملة، تناول نيتشه في هذا الفصل جميع أعماله المُخصصة للنشر، باستثناء "هذا هو الإنسان" و"ديونيسوس-ديثيرامنبس".

تغطي تواريخ نشر كتاباته فترة تقدر بحوالي عقد ونصف، من عام ١٨٧٢ إلى عام ١٨٨٨، فقد نشأ خلال تلك الفترة، معظم ما نعرفه اليوم باسم العمل الفلسفي لفريدريك نيتشه.

يستحق الإرث الفكري الضخم، وخاصة إرث فترة الثمانينيات، اهتمامًا خاصًا بسبب تعارض حوالي ١٠٠٠ صفحة من أعمال نيتشه المنشورة خلال تلك الفترة مع حوالي ١٥٠٠ صفحة من النصوص الموجودة بالإرث.

بين نهاية أغسطس وبداية سبتمبر ١٨٨٨، تخلى نيتشه عن مشروع كتاب طال انتظاره بعنوان "إرادة القوة"، من أجل إعادة ترتيب النصوص غير المُكتملة، والتي تحمل اسم "إعادة تقييم جميع القيم"، خطط نيتشه لتحويل مشروع "إعادة تقييم جميع القيم" إلى أربعة كُتب تحمل نفس العنوان الرئيسي، وكان ينبغي أن يسمى أولها "نقيض المسيح"، نشر نيتشه بالفعل جزءًا من النصوص المخصصة في الأصل لإعادة التقييم في كتاب "أفول الأصنام"، قبل صدور كتاب "هذا هو الإنسان".

وفي نفس الوقت، وقبل صدور كتاب "هذا هو الإنسان"، أنهى نيتشه في تورينو يوم ٣٠ سبتمبر ١٨٨٨ العمل على كتاب "نقيض المسيح"، وكتب عنه في كتاب "هذا هو الإنسان": "لقد تحقق الانتصار في يوم ٣٠ سبتمبر، لقد أنهيت إعادة تقييمي،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وحان الآن وقت الكسل على نهر بو"(142)، وثق نيتشه رغبته في رؤية أنه قد انتهى بالفعل من العمل على "إعادة التقييم" بأكمله من خلال كتاب "نقيض المسيح".

قدّمت عدة رسائل من نوفمبر ١٨٨٨ دليلًا على تلك الرغبة، فعلى سبيل المثال كتب نيتشه إلى بول ديوسن في ٢٦ نوفمبر ١٨٨٨: "لقد أنهيت إعادة تقييمي لجميع القيم، تحت العنوان الرئيسي نقيض المسيح".(143)

وبناءً على ذلك، أعلن نيتشه -في الحالة المزاجية المرحة التي أصابته منذ أكتوبر ١٨٨٨- أثناء طباعة كتاب "هذا هو الإنسان" عن انتهاء مشاريعه الكتابية، وبالتالي لم تتواجد أي إشارة تدل على وجود عمل رئيسي معلق.

في فصل "لماذا أكتب كتبًا رائعة للغاية"، علق نيتشه على ما أراد أن على أنه كامل أعماله، ولكن من خلال "هذا هو الإنسان"، أعلن نيتشه عن وجود فكرة واحدة معلقة، إعادة تقييم جميع القيم، والتي تم الانتهاء منها بالفعل في شكل كتاب "نقيض المسيح"، إن الإرث الذي يعد مفيدًا للغاية لفهم صيغ نيتشه وعالمه الفكري، ليس العمل الذي صاغه نيتشه بنفسه.

ينطبق ما قاله نيتشه عن نص "إرادة القوة" على جميع النصوص الأخرى التابعة لإرثه الأدبي: "لا ينبغي أن تظن أنني انشغلت بكتابة "الأدب" مرة أخرى، لقد كتبت هذا النص لي وحدي، ومن الآن فصاعدًا، فإني عازم على تأليف نص مماثل لنفسي كل شتاء، أمّا فكرة نشر هذه النصوص للعلن فقد باتت غير واردة بالنسبة لي". (144)

إن "أدب" نيتشه، أو النصوص المخصصة للجمهور، هي الكتب الجيدة التي تم تقديمها في كتاب "هذا هو الإنسان"، بالإضافة إلى "نقيض المسيح" و"ديونيسوس-ديثيرامنبس" وكتاب "هذا هو الإنسان" نفسه، تقدم القائمة التالية نظرة عامة على أعمال نيتشه الإبداعية وتسلسلها الزمني.

كتب نيتشه المقدمة في "هذا هو الإنسان" والتي نشرها بنفسه:

• مولد التراجيديا: مولد التراجيديا من روح الموسيقى، الطبعة الأولى، لايبزيغ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٨٧٢، مولد التراجيديا من روح الموسيقى، الطبعة الثانية، لايبزيغ ١٨٧٤، مولد التراجيديا أو الإغريقية والتشاؤم طبعة حديثة مع محاولة للنقد الذاتي، لايبزيغ ١٨٨٦.

• مقالات في غير أوانها: المقال الأول ديفيد شتراوس المعترف والكاتب، لايبزيغ ١٨٧٣، المقال الثاني: حول فوائد التاريخ ومساوئه في الحياة، لايبزيغ ١٨٧٤، المقال الثالث: شوبنهاور مربيًا، قلعة شيمنيتز ١٨٧٤، المقال الرابع: فاغنر في بايرويت، قلعة شيمنيتز ١٨٧٦.

• إنسان مفرط في إنسانيته، مع ملحقين: كتاب للأرواح الحرة، قلعة شيمنيتز ١٨٧٨، (طبعة جديدة للمجلد الأول مع مقدمة تمهيدية، لايبزيغ ١٨٨٦)، الملحق الأول: آراء وأقوال متنوعة، قلعة شيمنيتز ١٨٧٩، الملحق الثاني: الهائم وظله، قلعة شيمنيتز ١٨٨٠، طبعة جديدة للمجلد الثاني مع مقدمة تمهيدية، لايبزيغ ١٨٨٦ (تحتوي على «آراء وأقول متنوعة والهائم وظله»).

• الفجر: أفكار حول الأحكام الأخلاقية، شيمينتز ١٨٨١، طبعة جديدة مضاف لها مقدمة تمهيدية، لايبزيغ ١٨٨٧.

• العلم المرح، قلعة شيمنيتز ١٨٨٢، طبعة جديدة مضاف لها ملحق: أغاني الأمير فوغلفري، لايبزيغ ١٨٨٧.

• هكذا تكلم زرادشت: كتاب للجميع وليس لأحد بعينه الجزء الأول، قلعة شيمنيتز ١٨٨٣، الجزء الثاني، قلعة شيمنيتز ١٨٨٣، الجزء الثالث، قلعة شيمنيتز ١٨٨٤، (نشر الثلاث أجزاء معًا في كتاب واحد في لايبزيغ ١٨٨٧).

• ما وراء الخير والشر: مقدمة لفلسفة المستقبل، لايبزيغ ١٨٨٦.

• علم أنساب الأخلاق: جدل، لايبزيغ ١٨٨٨.

• قضية فاغنر: مشكلة الموسيقار، لايبزيغ ١٨٨٨.

• أفول الأصنام: كيف تتفلسف بمطرقة، لايبزيغ ١٨٨٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

• أعمال ذكرها نيتشه في «هذا هو الإنسان»، لكن لم ينشرها بنفسه:

• نقيض المسيح: لعنة على المسيحَية، أنهاه نيتشه في عام ١٨٨٨، طبع لأول مرة في لايبزيغ عام ١٨٩٥.

• هذا هو الإنسان: كيف تُصبح ما أنت عليه، كتبه نيتشه بين عامي ١٨٨٨/ ١٨٨٩، نشر ريختر الطبعة الأولى في لايبزيغ عام ١٩٠٨.

• أغاني ديونيسوس-ديثيرامنبس، كتبها نيتشه بين عامي ١٨٨٨/ ١٨٨٩، نشرت الطبعة الأولى مع الجزء الرابع من هكذا تكلم زرادشت، في لايبزيغ عام ١٨٩١.

***

التناظر اللاحق للأعمال:

لا يعد "لماذا أكتب كتبًا رائعة للغاية"، الفصل الأكثر شمولية فقط، بل أيضًا الفصل الأكثر تعقيدًا في كتاب "هذا هو الإنسان"، فمن جهة، طرح نيتشه ما يشبه سيرة ذاتية فكرية مرتبة ترتيبًا زمنيًا، ومن جهة أخرى، حاول التعليق على كل كتاب من الكتب المذكورة، وحاول أيضًا التركيز على محتوى تلك الكُتب بشكل جديد، ونتج عن كل ذلك عشر فقرات مكثفة للغاية.

وبشكل عام، يتبع ترتيب هذه الفقرات العشرة تسلسل تاريخ نشأة الأعمال المعلق عليها، ويستثنى من هذا الترتيب كتاب "قضية فاغنر"، فقد نشأ قبل "أفول الأصنام"، ولكنه آخر ما عُلق عليه في كتاب "هذا هو الإنسان"، حلل فولفغام غروديك أهمية هذه الحالات الشاذة وغيرها في تكوين "هذا هو الإنسان".(145)

أعطى هذا التغيير في ترتيب الفقرات انطباعًا -مرغوبًا فيه على ما يبدو- بأن أعمال نيتشه مُحاطة باثنين من الكتب المرتبطة سطحيًا باسم ريتشارد فاغنر، مولد التراجيديا من روح الموسيقى، وقضية فاغنر، صاغ نيتشه في فصل لماذا أنا ذكي جدًا: "لقد عانينا (نيتشه وفاغنر) من كرب شديد، [...] أشد مما يمكن للناس في هذا القرن أن يتحملوه، وهذا ما سيربط اسمينا معًا للأبد [...]"(146) ، لقد جمع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نيتشه نفسه "الاسمين" معًا.

علّق نيتشه على كتاب مولد التراجيديا قائلًا: "هناك أمل هائل يتردد من "مولد التراجيديا"، وبالرغم من كل شيء لا يوجد أي سبب على الإطلاق يجعلني أنكر الأمل في مستقبل ديونيسي للموسيقى [...] أعدكم بعصر جديد من التراجيديا، أعلى فن لقبول وتأكيد الحياة، سوف تولد التراجيديا من جديد [...]". (147)

ذكر نيشته في تعليق مناظر من فصل قضية فاغنر: "حتى يمكن للإنسان أن ينصف هذا العمل، ينبغي عليه أن يُعاني من قدر الموسيقى كما لو كان يعاني من جرح مفتوح، ما الذي أعاني منه وأنا أعاني من قدر الموسيقى؟ إنني أعاني بسبب حرمان الموسيقى من طابعها الإيجابي المجسد للعالم".(148)

أظهر هذا التناظر على نحو مثالي أن نيتشه يتعامل أيضًا مع التعليقات على كتاباته بطريقة إبداعية، إذ جعل ترتيب الأحداث، الذي أرشد به القارئ عبر كتاباته، وسيلة للعرض.

***

عاطفة النصوص:

"إنني على علم تام بمزاياي ككاتب، فمن خلال بعض الحالات، اتضح لي كيف أنّ القراءة العادية لأعمالي "تفسد" ذوق الإنسان، فببساطة، لم يعد من الممكن تحمل الكتب، وخاصة الفلسفية منها".(149)

إنّ أدب نيتشه مُذهل، ومغري جزئيًا: "ومنذ ذلك الحين (أي بعد هكذا تكلم زرادشت) تحوّلت جميع كتاباتي إلى صنارات، فهل أفهم نفسي جيدًا مثل شخص يحب صيد السمك؟ فإذا لم تلتقط شيء فلست أنا الملام على ذلك، لقد اختفت الأسماك بكل بساطة"، أظهر تاريخ استقبال القراء لكتاباته أن "الأسماك" لم تختفِ قط، نجح نيشته على نحو جيد في قذف تلك "الصنارات"، والتي جذبت نحو فكرة قُرّاء جُدد.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إن اللافت للانتباه في كتابات نيتشه ليس منطقها أو صرامة نهجها المتبع باتساق، فأفكاره تجريبية للغاية، وكثيرًا ما يطرح نيتشه على قُرّائه السؤال "ماذا لو...؟" أو يدعوهم إلى النظر إلى الأمور من وجهة نظر مغايرة تمامًا.

ذكر نيتشه في كتاب "هذا هو الإنسان"، أنه قد لوحظ في كتاباته -وحتى في مساهماته العلمية المبكرة في علم اللغة- شيئًا إضافيًا إلى جانب النهج والنتائج ألا وهو الإثارة.

"اعتاد معلمي القديم ريتشل أن يخبرني أنني ما زلت أكتب أطروحاتي اللغوية مثل الروائي الباريسي، أي أنني أجعلها مثيرة على نحو سخيف".(150)

طوّر نيتشه "فن الأسلوب" الخاص به من أجل "أدبه"، إن ما أسماه نيتشه بالأسلوب، ليس مجرد شكل لغوي خارجي لنصوصه، وبالطبع، ليس بمقدورنا تلخيص أسلوب نيتشه إلى مجموعة من القواعد المحددة، والتي يمكن تطبيقها على نحو روتيني في التمارين الأسلوبية: "إن الأسلوب الجيد على هذا النحو العبثي الخالص، مجرد "مثالية"، مثل "الجمال في حد ذاته"، ومثل "الخير في حد ذاته"، ومثل "الشيء في ذاته". (151)

عبّر الأسلوب عند نيتشه عن القدرة على التواصل والنقل، ولا تتعلق هذه القدرة على التواصل والنقل بعرض الحقائق، بل بدلًا من ذلك، فهي تجيب على مشكلة نقل الخبرات والتجارات الفردية مثل "الحالات الداخلية"، و"التوتر الداخلي": "أرغب الآن في إبداء بعض الملاحظات العامة عن "فن الأسلوب" الخاص بي، إن معنى كل أسلوب هو نقل حالة، أو توتر داخلي للشجن من خلال الرموز، بما في ذلك إيقاع هذه الرموز، وبالنظر إلى تنوع حالاتي الداخلية بصورة استثنائية، فإنني قادر على التعبير بالعديد من الأساليب، أي قادر على الفن الأكثر تنوعًا للأسلوب والذي لم يمتلكه أي إنسان من قبل، إذًا، يغدو الأسلوب جيدًا حينما يقدر على نقل حالة داخلية حقيقة، والتي يُعبّر عنها من خلال الرموز أو الحركات أو الإيماءات، وفي هذا المضمار لا تخطئ غرائزي أبدًا". (152)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن اللافت للنظر أيضًا هو مدى قوة فكرة التعددية الداخلية لنيتشه، والطبقات والتناقضات المختلفة لشخصيته، والتي يتردد صداها هنا مرة أخرى، من خلال هذه "التعددية الداخلية" نشأ التباين الاستثنائي لتعبيراته اللغوية وأسلوبه، ومن الجدير بالذكر أيضًا أن نيتشه تحدّث عن التعبيرات اللغوية باعتبارها رموز، ففي النهاية تعد الرموز والإشارات أكثر وسيلة للتعبير المباشر عن اللغة، وتعد أيضًا الوسيلة الأكثر اكتمالًا للتعبير عن الإنسان: المظهر، والوضعية، والحركة، وتعبيرات الوجه، والصوت، يغدو كل هذا دليلًا على التواصل، ولذلك في بعض الأحيان، لا تنقل هذه الرموز الحقائق فحسب، بل تنقل كلا من المشاعر و"التوتر الداخلي" أيضًا.

تحدّث نيتشه عن "الشجن نفسه gleichen Pathos"، وتُشير تلك الكلمة اليونانية إلى المُعاناة، والانزعاج، أي العاطفة بشكل عام، وأيضًا إلى الرغبة والشعور وتُشير إلى حدث يحدث لشخص ما:

"بفرض وجود آذان تسمع، ووجود أناس جديرين بمثل هذا الشجن، وأنه لا يوجد نقص في أولئك الذين نحاول مشاركتهم هذا الشجن، فعلى سبيل المثال، فإن "بطلي زرادشت" لا يزال يبحث عن مثل هؤلاء الناس، يا للأسي! يبدو أنه سيتعين عليه البحث لفترة طويلة، وإلى أن يأتي ذلك الوقت لن يفهم أي إنسان الفن المطروح في هذا الكتاب، لم يسبق لأي إنسان أن أضاع مثل هذه الوسائل الفنية الحديثة وغير المسبوقة، كان عليّ أن أبرهن على أن مثل هذه الأشياء ممكنة في اللغة الألمانية بالذات، لقد كان لديّ شكوك كثيرة فيما مضى، قبلي لم يعرف الناس ماذا يمكن فعله باللغة الألمانية، أو ماذا يمكن فعله باللغة أصلًا".(153)

تساعدنا هذه الاقتباسات إلى حد ما في تقدير التعليقات الذاتية التي صاغها نيتشه في كتاب "هذا هو الإنسان" حول كتبه الأخرى، فمن المُدهش حقًا، مدى ضآلة القواسم المشتركة بين هذه النصوص وفهارسها، ففي بعض الأحيان، تظهر بعض المُلخصات الجزئية فقط لمحتويات "مولد التراجيديا" و"مقالات في غير أوانها" في تعليقات نيتشه على هذين الكتابين، وتناول تعليق نيتشه على "إنسان مفرط في إنسانيته" في المقام الأول ظروف نشأة هذه السيرة الذاتية وعواقب التحرُّر الذاتي

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

في هذا الكتاب، واصل آخر هذه التعليقات حساب نيتشه الصارم للألمان، بدلًا من تلخيص "قضية فاغنر" فقط، تصف جميع الفقرات الأخرى بشكل رئيسي ما يمكن لنيتشه فعله في كل كتاب "باللغة".

تصف تعليقات نيتشه -في سياق العبارات المقتبسة عن الأسلوب- الحالة المزاجية للكتّاب، وتوفر إشارات سيرية حول الحالة المزاجية، التي عايشها نيتشه أثناء كتابته لتلك التعليقات، كما تُشير إلى خصائص الأسلوب المختار: وفقًا لتعليق نيتشه، لم يشوه كتابه "الفجر" سمعة الأخلاق، "تفقس" جُمله مثل فراخ الطيور البحرية على الساحل الصخري بالقرب من جنوة: "أن نودع الكتاب مع شعور بالحذر إزاء كل شيء سبق تقديره، بل وعبادته باسم الأخلاق، لا يتعارض مع حقيقة أنه لا توجد كلمة سلبية واحدة في الكتاب كله، ما من هجوم، ما من خبث، بل وكأنه يستلقي تحت أشعة الشمس بسعادة ورقة مثل حيوان بحري يستلقي على الصخور، وفي الواقع كنت أنا ذلك الحيوان البحري، تكاد تبدو كل جُملة في هذا الكتاب وكأنها ملتقطة من الكتل الصخرية القريبة من جنوة حيث عشت وحيدًا وتبادلت أسراري مع البحر". (154)

إنَّ ما يُميز ما يمكن لنيتشه فعله "باللغة" في كتاب "الفجر" هو فن استيعاب التحولات واللحظات العابرة لغويًا: "لا ينقص هذا الكتاب فن تثبيت الأشياء، التي عادة ما تمضي بسرعة وبصمت، وأطلق على هذه اللحظات اسم "السحالي الإلهية"، أعتقد أنها قاسية قليلة، ولكن ليست بقسوة ذلك الإله اليوناني الشاب الذي طعن بكل بساطة السحلية الصغيرة المسكينة بشيء مدبب ألا وهو القلم...". (155)

تعثر توليفة الخفة التجريبية والوزن الفكري على تعبيرها اللغوي الخاص في جُمل "العلم المرح": "يعد الفجر كتابًا إيجابيًا عميقًا لكنه واضح ورائع الأسلوب، ينطبق نفس الشيء وبأعلى درجة على "العلم المرح"، حيث يقترن العمق والروح العالية برفق في كل جملة فيه". (156)

لا تُميز الخصائص فقط الحالة المزاجية لكتاب "أفول الأصنام" - أو "النغمة" الخاصة بالكتاب: "هذا العمل الذي لم تتجاوز صفحاته ١٥٠ صفحة بنغمته المصيرية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والمشؤومة مثل الشيطان الضاحك، لقد عملت عليه لأيام قليلة جدًا، لدرجة أنني أتقن ذكر عدد صفحاته، فهو استثناء بين الكتب بشكل عام، فلا يوجد كتاب آخر أكثر ثراءً منه من حيث الجوهر وأكثر استقلالًا وأكثر إذهالًا وأكثر فظاعة". (157)

لقد كان الجو السائد في الكتاب هو الجو الخريفي، حيث أشاد نيتشه برؤى كتابه باعتبارها وفرة سخية من الثمار الناضجة.

"إنّ ريحًا عظيمة تهب بين الأشجار، وتسقط الثمار -الحقائق- في كل مكان، إنها مضيعة لخريف مفرط في إثماره، إنكم تتعثرون في الحقائق، بل وتسحقون البعض منها سحقًا شديدًا، وهنالك الكثير منها". (158)

بينما وصف نيتشه كتبه في المقاطع المقتبسة السابقة حتى الآن من خلال الحالة المزاجية أو الخصائص المحتوئية التي تتخلل الكتابة ككل، فقد وصف فقرات "علم أنساب الأخلاق" كأحداث مزاجية تتصاعد شيئًا فشيئًا حتى تبلغ ذروتها: "وفي كل مرة تهدف البداية إلى تضليل الإنسان، إنه تعطش مقصود بارد وعلمي وتهكمي ومتعمد، وتدريجيًا، يغدو الجو أكثر اضطرابًا، وتنشأ بعض الومضات العرضية من البرق، وتغدو الحقائق المزعجة الصاخبة للغاية مصحوبة بصوت مدوٍ مبهم من المسافات النائية، إلى أن نصل أخيرًا إلى "الطقس العنيف"، حيث يتقدم كل شيء بكثافة وتوتر مخيفين، وفي النهاية في كل مرة وسط هزيم الرعد، تظهر حقيقة جديدة بين السحب الكثيفة". (159)

تصبح "العاصفة القادمة والتي تنفجر في النهاية" رمزًا للحالة المزاجية المتصاعدة في كل فقرة، وبالإضافة إلى ذلك، تصف عبارة "الطقس العنيف" إيقاع مقطوعة موسيقية، يمكن أن ينطبق وصف نيتشه لفقرات كتاب "علم أنساب الأخلاق" على الجُملة المعنونة "عاصفة" في سيمفونية بيتهوفن رقم ٦، يتبع تقسيم الفقرات الجوانب الموسيقية، وليس المنطقية منها.

وبالنسبة لـ"هكذا تكلم زرادشت"، أضحت الموسيقى في نهاية المطاف هي الفكرة الإبداعية الصريحة له: " فإذا عدت إلى الوراء شهرين قبل هذا اليوم، فيمكنني أن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أكتشف حدوث تغيير مفاجئ وحاسم للغاية في ذوقي، وخاصة في الموسيقى، وربّما يمكنني اعتبار كتابي "هكذا تكلم زرادشت" بمثابة موسيقى خالصة". (160)

تنعكس موهبة نيتشه الموسيقية الرائعة -حتى خلال فترة تشكّل مشروع "هكذا تكلم زرادشت" ببطء- على مؤلفاته الخاصة، وفي "هكذا تكلم زرادشت"، رأى نيتشه نفسه عند نقطة تحمل فيها المنظورات الفردية والتجارب الفكرية والتعبير اللغوي نفسه طابعًا موسيقيًا.

في عمله المبكر "مولد التراجيديا من روح الموسيقى"، تحدّث نيتشه عن التداعيات الملحوظة للموسيقى على اللغة؛ فعند محاولة إيجاد "تعبير مشابه للموسيقى"، يُحدد النص، وحتى المفهوم نفسه، من خلال قوانين موسيقية خاصة به، لم تعد القواعد اللغوية المنطقية هي التي تُشكّل التعبير اللغوي، بل أضحت تلك القوانين الموسيقية الخاصة هي ما يُشكّل التعبير اللغوي.

"وبهذا نكون قد حدّدنا العلاقة الوحيدة الممكنة بين الشعر والموسيقى، وبين الكلمة والصوت: الكلمة، الصورة، المفهوم كل منهم يبحث عن تعبير مشابه للموسيقى ويعاني الآن من قوة الموسيقى نفسها". (161)

وفي الاقتباس التالي، يمكننا رؤية حديث نيتشه عن الإلهام الدافع له لكتابة "هكذا تكلم زرادشت": "هل يمتلك أي إنسان في نهاية هذا القرن التاسع عشر أية فكرة واضحة ومتميزة عمّا أطلق عليه شعراء الحقب القوية اسم "الالهام"؟ إذا لم تكُن لديّ أي منكم هذه الفكرة فإنني أحب أن أصف لكم هذا الإلهام، في الواقع، إذا ما ترك الإنسان كل خرافة وراءه فإنه سيرفض بصعوبة تامة فكرة كونه مجرد تجسيد أو لسان حال أو مجرد وسيط لقوة عظمى، يصف مصطلح الوحي الحقائق بكل بساطة، والذي يغدو على نحو فجائي وبقدر لا يوصف من اليقين والدقة، مرئيًا ومسموعًا ويتحول إلى شيء يهزك من الداخل ويدهشك حد النخاع، يسمع الإنسان ولا يتحدث، يأخذ، ولا يسأل عمن أعطي، تومض الفكرة مثل البرق، بشكل حتمي وبدون تردد، ولا تملك أي خيار في ذلك، وهنالك توجد النشوة والتي ينفجر من توترها الهائل سيل من الدموع، وخلاله يتنوع تقدم الإنسان ما بين تهور لا إرادي وتباطؤ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لا إرادي، ويوجد الشعور بأن الأمر قد أفلت من بين يديّ الإنسان مع وعي شديد، وهناك عدد لا يحصى من الرعشات التي تسري في الإنسان من رأسه إلى أخمص قدميه، ويوجد هنالك أيضًا سعادة عميقة لا تنقطع فيها المشاعر الأكثر إيلامًا وكآبة عن التأثير، ولكنها مطلوبة كتلوين ضروري في هذا التدفق، وهناك غريزة العلاقات الإيقاعية التي تضم عالمًا كليًا من الأشكال، والامتداد، والحاجة إلى إيقاع ممتد يكاد يكون مقياسًا لقوة الإلهام، كنوع من التوازن مقابل الضغط وتوتره [...] فإذا ما أردت أن تتذكر عبارة من عبارات زرادشت، فإن الأمر سيبدو بالفعل كما لو كانت الأشياء نفسها تبدو كمثل [...]، وهذه هي تجربتي عن الإلهام، وليس لديّ أدنى شك أنه ينبغي عليّ أن أرتد آلاف السنين لأجد شخصًا يمكنه أن يُخبرني: وهذه تجربتي أنا أيضًا". (162)

تتغلب الطبيعة المتأصلة لهذا "الإلهام" على التناقضات، التي قد يكون من غير الممكن التغلب عليها منطقيًا، في كتاب "هكذا تكلم زرادشت"، أظهر نيتشه أي دور يمكن أن تلعبه القوة الإبداعية للإلهام -الموسيقي- فهي تسمح باندماج جميع جوانب الوجود، حتى الأكثر عمقًا "سعادة عميقة لا تنقطع فيها المشاعر الأكثر إيلامًا وكآبة عن التأثير، ولكنها مطلوبة كتلوين ضروري في هذا التدفق، ارتبط شكل نيتشه الموسيقي للتواصل بالأمل في التعبير عن مُعاناة فريدة بطريقة تجعل تأكيده مفهومًا: "لم يُكتب عن مثل هذه الأشياء قط، ولم يشعر بها أحد قط، ولم يُعاني منها أحد أبدًا، هكذا عانى الإله ديونيسوس، يكمن الجواب على مثل هذا الديثرامب من العزلة الشمسية في بهاء أريادن، مَن يدري بخلافي مَن هي أريادن!" (163)

لم تخضع الإعلانات الفلسفية لنيتشه -على الأقل ليس بشكل كامل- للتسلسل المنطقي أو التنظيم المنهجي، ويتماشى ذلك مع رفض نيتشه الفسلفي للاعتراف بالوجود ككل باعتباره عقلانيًا ومنطقيًا، إن الحياة اللغوية والفكرية في نصوصه آسرة، وفقًا لتفسير نيتشه اللاحق، تكمن العلاقة بين نصوصه في مصدرها المشترك: فهي تعبير عن شخصيته، ومحاولات لنقل "تعدد هائل ومتناقض في نفس الوقت"، تنبض نصوص نيتشه بالحياة، حيث توثق القدرة الإبداعية لدى نيتشه، والتي أطلق

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عليها مصطلح "ديونيسي"، وهو ما سنقوم بشرحه لاحقًا.

***

نقطة التحوُّل.. هكذا تكلَّم زرادشت:

من السهل إغفال الصورة الكلية، عند النظر إلى تعليقات نيتشه الذاتية على كتاباته بشكل فردي، وأشار نيتشه بالفعل إلى إحدى خصائص تلك الصورة الكلية في مقدمة كتاب "هذا هو الإنسان": "يحتل كتابي هكذا تكلم زرادشت مكانة خاصة لديّ، ومنه أقدم للبشرية أعظم هدية منحت لها حتى الآن، وهذا الكتاب -الذي يتردد صداه عبر العصور- ليس فقط أرقى كتاب في العالم فحسب، بل هو أيضًا الكتاب الحقيقي، والكامن في باطنه الحقيقة الكاملة عن الإنسان، كما أنه الكتاب الأعمق، والذي تشكَّل من ثروة الحقيقة الداخلية للإنسان، وينبع منه ينبوع لا ينضب، حيث لا يهبط فيه أي غواص دون أن يعود مليئًا بالذهب والخيرات". (164)

منح نيتشه لزرادشت مكانة خاصة، بل وفريدة من نوعها، وسط كتبه الأخرى، ميز هذا الميل نحو كتاب "هكذا تكلَّم زرادشت" كتاب "هذا هو الإنسان" بالكامل، إن فصل "لماذا أنا ذكي جدًا؟" هو الفصل الوحيد في الكتاب كله الذي لا يحتوي على اقتباس طويل من كتاب "هكذا تكلَّم زرادشت"، وفيما عداه تحتوي جميع الفصول الأخرى على اقتباسات طويلة منه، وتحتل بعض تلك الاقتباسات أكثر من صفحة واحدة من صفحات كتاب "هذا هو الإنسان".

انعكس قرار نيتشه بتوجيه اهتمامه الأدبي نحو "هكذا تكلَّم زرادشت" على تعليقاته الذاتية على أعماله، ويتضح ذلك بشدة في بداية الفصل الخاص بـ"مولد التراجيديا"، علَّق نيتشه في الاقتباس التالي من نهاية ذلك الفصل على كتاب "مقالات في غير أوانها" قائلًا: "والدليل القوي على ذلك هو مقالي فاغنر في بايرويت، في جميع الفقرات السيكولوجية، التي لها دلالة لا تتعلَّق سوى بي، لا تترددوا في إحلال اسمي واسم "زرادشت" أينما يرد اسم فاغنر في النص، إن الصورة الكاملة لفنان شعر الديثرامب هي صورة الشاعر الموجود مسبقًا في "هكذا تكلَّم زرادشت"، والتي رسمت بعمق شديد دون أن تمس واقع فاغنر ولو لحظة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واحدة، لم يكُن فاغنر نفسه على دراية بذلك، ولم يتعرف على نفسه في هذا المقال". (165)

ظهر بوضوح -مدى جذرية وحساسية- التأويل الجديد الخاص بـ"صورة الشاعر الموجود مسبقًا في هكذا تكلّم زرادشت" في ضوء السياق الذي كتب فيه هذا العمل، ففي سبتمبر ١٨٧٥، ترك نيتشه العمل على هذا المقال الرابع، وعاود العمل عليه في العام التالي.

قوبل هذا المقال بالترحيب من ريتشارد وكوزيما فاغنر، وبالرغم من ذلك، تزايد البُعد الداخلي لنيتشه عن فاغنر، حتى تمت القيطعة بينهما في عام ١٨٧٦ - والتي كانت في البداية داخلية فقط: "لقد ودعت فاغنر بالفعل في صيف عام ١٨٧٦، تحديدًا في منتصف العروض المسرحية الأولى، أنا لا أتسامح مع أي شيء غامض؛ لقد وافق فاغنر تدريجيًا على كل ما أمقته -حتى مُعاداة السامية- منذ أن كان في ألمانيا"، ، (166) علّق نيتشه في "هذا هو الإنسان" على الانفصال اللاشعوري عن فاغنر وعلى هذا المقال الرابع المكتوب لصالح فاغنر وليس ضده، والذي أصبح الآن دليلًا على "الشاعر الموجود مسبقًا في هكذا تكلّم زرادشت".

تعامل نيتشه بطريقة راديكالية مماثلة مع كتابه "العلم المرح"، وبالرغم من كتابة نيتشه عام ١٨٨٧ في المقدمة المضافة بعد وفاته لكتاب "العلم المرح": "رُبّما يحتاج هذا الكتاب إلى أكثر من مجرد مقدمة"،(167) إلا أنه اختصر تعليقه عليه في بضع فقرات فقط، إن محور الفصل الخاص بكتاب "العلم المرح" هو القصيدة التي أفتتح بها نيتشه الجزء الرابع من كتاب "العلم المرح" (168)، ثم مضى بعد ذلك في شرح فقرة "تندفع [روحي] الآن مسرعة نحو البحر / نحو أعظم آمالها": "ما الذي يعنيه أعظم الآمال هنا؟ مَن يستطيع أن يشكك في ذلك الذي يرى الجمال الماسي المشع لكلمات زرادشت الأولى في نهاية الكتاب الرابع؟ أو في الذي يقرأ الجمل الجرانيتية في نهاية الكتاب الثالث، والتي صاغت مصير كل العصور من خلال الكلمات؟" (169).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهكذا أصبح "العلم المرح" برمته كتابًا انتقاليًا، يندفع به نيتشه نحو زرادشت.

في النهاية، لم يضع نيتشه في الفصل الخاص بـ"هكذا تكلّم زرادشت" هذا الكتاب (هكذا تكلّم زرادشت) في مركز أعماله فحسب، بل أشار إلى أنّ كتابة الأجزاء الثلاثة الأولى منه تعد بمثابة نقطة الذروة في حياته: "بغض النظر عن فكرة الأيام العشرة هذه، فقد أعقب سنوات إنتاجي لزرادشت والسنوات التالية لها، تعاسة لا مثيل لها، على الإنسان أن يدفع ثمنًا باهظًا لكي يغدو خالدًا [...]". (170)

وفقًا لتفسير نيتشه اللاحق لأعماله الأدبية، أشارت جميع الكتابات السابقة لزرادشت إلى هذا المركز، وبالمثل، فسّر نيتشه الكتابات اللاحقة لزرادشت على أنها مواصلة منطقية لمهمة طرحها زرادشت.

ادعى نيتشه من خلال الاقتباس التالي أنه توصل إلى منظور يثبت من خلاله أنّ الوجود ككل له معنى و"مبرر": [...]" رُبّما ما يميزني هو الوقوف على الحياد، والتحرُّر من الانتماء إلى جانب معين فيما يتعلق بمشكلات الحياة". (171)

وصف نيتشه كتاب "هكذا تكلّم زرادشت" بأنه محاولة لنقل هذا المنظور الإيجابي: "ذات يوم حدّد زرادشت مهمته بعزم -والتي هي مهمتي أيضًا- وهي أنه لا ينبغي أن يخطئ أحدكم الفهم، فهو يجيب بنعم لدرجة التبرير، لدرجة التكفير عن كل ما مضى". (172)

وعلى النقيض من منظور زرادشت، أثبتت جميع المعاني والتقييمات السابقة أنها غير كافية أو غير صادقة، وفقًا لتفسير نيتشه الذاتي اللاحق، تتمثل المهمة البارزة التي تأتي في أعقاب زرادشت في تقويض المعاني والقيم السابقة لصالح هذا المنظور الجديد المؤكد للوجود، تشير عبارة "إعادة تقييم القيم السابقة" إلى "هكذا تكلّم زرادشت"، والتي تتطور في الفترة التالية لزرادشت لتصبح "إعادة تقييم جميع القيم" والتي تُشير إلى "هذا هو الإنسان".

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل السابع

كتاب للجميعَ وليس لأحد بعينه

صيغة التأكيد:

"لقد حان الوقت لأروي لكم تاريخ كتابي "هكذا تكلّم زرادشت"، إنّ الفكرة الأساسيّة لهذا العمل -أي فكرة "العودة الأبديّة"- هي أعظم صيغة للتأكيد يمكن للإنسان أن ينالها على الإطلاق، ويعود تاريخها إلى أغسطس ١٨٨١، لقد دوّنت هذه الملاحظة السريعة عنها: "٦٠٠٠ قدم وراء الإنسان والزمن"، في ذلك اليوم كنتُ أسير عبر الغابة بجوار بحيرة سيلفابلانا، وتوقفت عند كتلة صخرية ضخمة هرمية الشكل بالقرب من سورلي، وهنالك جاءتني هذه الفكرة [...]". (173)

شكّلت تعليقات نيتشه حول "هكذا تكلّم زرادشت" المحور الأساسي لفصل "لماذا أكتب كتبًا رائعة للغاية"، ومن خلال تلك التعليقات، وضّح نيتشه عددًا من النقاط المهمة والمُتعلقة بفهم كتاب "هكذا تكلّم زرادشت"، سنحاول ذكر هذه النقاط هنا بشكل موجز.

لقد احتوى تعليق نيتشه المذكور أعلاه على إحدى تلك النقاط المهمة -وتحديدًا في الجُملة الثانية- ألا وهي كون فكرة "العودة الأبدية" مركز تصور زرادشت، وبالرغم من ذلك، فلم يعبّر نيتشه عن تلك الفكرة في زرادشت إلا في وقت متأخر جدًا، يبدو أن نيتشه صب تركيزه بالكامل على مصطلح "الإنسان الأعلى"- الذي أعلن عنه زرادشت في خطبه وظهر في معظم أجزاء الكتاب، هنالك مركز آخر لفكر نيتشه في الثمانينيات، والذي انعكس بالفعل على "هكذا تكلّم زرادشت" وهو "إرادة القوة".

بالمقارنة مع أهمية فكرة "العودة الأبدية باعتبارها "المفهوم الأساسي" لـ"هكذا تكلّم زرادشت"، والذي نسبه نيتشه إلى هذه الفكرة في "هذا هو الإنسان" أيضًا، فمن المدهش ألا يوجد في "أعماله الأدبية" -بما في ذلك زرادشت- سوى القليل من التعبيرات الصريحة حول هذه الفكرة، فعلى وجه الخصوص، لا توجد "عقيدة" منهجية مفصلة خاصة بفكرة "العودة الأبدية".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حتى في "هذا هو الإنسان"، لا توجد سوى بضع إشارات متفرقة تتعلق بمضمون تلك الفكرة، قدّم نيتشه بشكل عابر في فصل "مولد التراجيديا" تفسيرًا غير مجدٍ لمعناها: "لقد علّم عقيدة "العودة الأبدية" -أي التكرار المطلق والأبدي لكل الأشياء- الخاصة بزرادشت هيراقليطس أيضًا، حيث يظهر عند الرواقيين، الذين ورثوا جميع أفكارهم الرئيسية عن هيراقليطس، آثار على ذلك". (174)

وفي النصف الأول من ثمانينيات القرن التاسع عشر، بذل نيتشه جهدًا مُكثفًا للعثور على حجج لصالح "العودة الأبدية" من المناقشات العلمية المعاصرة، وفي خريف عام ١٨٨١، سجل الحجة التالية: "لا يعاني عالم القوى من أي نقصان، وإلا لضعف وهلك إلى الأبد، ولا يعاني من الجمود أيضًا، وإلا لتوقفت ساعة الوجود، لذلك لا يصل عالم القوى أبدًا إلى حالة التوازن، ولا يحصل أبدًا على لحظة راحة، فقوته وحركته متماثلتان في كل زمان، وأيًا كانت الحالة التي يمكن أن يصل إليها العالم، فلا بد أن يكون قد وصل إليها من قبل، وليس مرة واحدة فقط، بل مرارًا وتكرارًا، مع توزيع جميع القوى تمامًا كما هي الآن". (175)

هنا، تُقدم "العودة الأبدية" على أنها لعبة اندماجية غير محدودة زمنيًا، تتكرر العديد من الاحتمالات بالضرورة إلى ما لا نهاية في كثير من الأحيان، وتجتمع من جديد في "لحظة".

Telegram:@mbooks90

افتقر "هذا هو الإنسان" إلى مثل هذا الدعم الجدلي لفكرة "العودة الأبدية" إلى حد كبير، وانصب تركيز نيتشه على السؤال التالي: " ماذا ستفعل إذا تسلل شيطان يومًا ما أو ليلة ما إلى عزلتك الأكثر انزواء وقال لك: "سيتعين عليك أن تعيش هذه الحياة مرة أخرى ومرات لا حصر لها، كما تعيشها الآن، ومثلما عشتها من قبل، ولن يكون هناك شيء جديد في ذلك [...]، إن ساعة الوجود الرملية الأبدية تنقلب مرارًا وتكرارًا- وأنت معها، كأنك ذرة غبار [...]". (176)

يتعلق الأمر بسؤال موجه للفرد، وإمكانية وجود منظور فردي، تتلخص الحجة المذكورة أعلاه في مثل هذا المنظور الفردي، كتب نيتشه في هذا الشأن ما يلي: "[...] إنسان! سوف تنقلب حياتك مرارًا وتكرارًا مثل الساعة الرملية، وسوف تنتهي مرارًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتكرارًا، تكفي دقيقة واحدة بينهما حتى تتجه جميع الظروف التي نشأت منها، في دورة العالم، للاندماج مفًا من جديد".(177)

ومن خلال هذا المنظور، تُخلد كل لحظة، فلا تعتبر أي لحظة في الوجود مجرد فترة انتقالية عابرة وفانية، صاغت ملاحظة نيتشه "هذه الحياة - حياتك الأبدية" منظورًا راديكاليًا لهذه الحياة الدنيوية وللمحايثة، لا يوجد شيء بعد هذا الوجود أو قبله أو بجانبه، لا خلاص ديني أو أيدلوجي مثالي، وكل لحظة من لحظاته أبدية بنفس القدر، في "هذا هو الإنسان"، عرّف نيتشه من خلال هذا المنظور المحايث الراديكالي المشكلة المركزية في كتابه "هكذا تكلّم زرادشت" على أنها "المفهوم الأساسي للعمل، وباعتبارها أيضًا إمكانية لتأكيد للوجود.

"[...] هل لكون زرادشت راقصًا؟ كيف للشخص الذي يمتلك أحد بصيرة في الحقيقة وأكثرها رعبًا، والذي فكّر في أعمق الأفكار وأكثرها "دفعًا للهاوية"، ألا يجد في هذه الأشياء أي اعتراض على الوجود ولا حتى على عودته الأبدية، كيف له أن يجد الأسباب، لكي يغدو الإيجاب الأبدي لكل شيء، "أحمل نعمة إيجابيتي في الحياة معي إلى كل هوة سحيقة" وهذا يعبّر عن المفهوم الديونيسي مرة أخرى". (178)

إن مسألة ما إذا كان الوجود سيجد معناه في حد ذاته دون أن توفر الآخرة أو حتى المستقبل أي معنى وإنما يمكن ذلك فقط من خلال "اللحظة" على المحك، ولكي ينجح ذلك، لا بد من تقبل حتى أقبح الأمور تحت مبدأ "العودة الأبدية"؛ وهكذا تصور نيشته زرادشت على أنه "المتغلب على الاشمئزاز الكبير"، في كتاب "هذا هو الإنسان"، وصف نيتشه هذه المهمة بأنها مهمته الخاصة؛ أما في كتابه "هكذا تكلّم زرادشت"، قام مبدئيًا بإرجاء تلك المهمة إلى زرادشت.

***

النمط الزرادشتي:

إنّ النمط الزرادشتي هو الحدث الفكري الثاني الذي حدّده نيتشه بدقة في سيرته

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الذاتية، والذي تبرز أهميته من خلال ذلك.

"لقد عشت في الشتاء التالي في ذلك الخليج الهادئ والرائع الواقع في رابالو بالقرب من جنوة، والذي يخترق الأراضي بين شيافاري ورأس بورتو فينو، لم تكن صحتي حينها على ما يرام، فقد كان الشتاء باردًا ومطيرًا للغاية، وبالإضافة إلى ذلك، فقد أقمت في فندق صغير مطل على البحر؛ مما حال بيني وبين النوم ليلًا بسبب الضوضاء الشديدة الناجمة عن تلاطم الأمواج، كانت كل الظروف على النقيض تمامًا من الظروف التي تتيح الراحة، ولكن بالرغم من هذه الظروف وكما لو كان في هذا برهان على نظريتي القائلة بأن كل شيء حاسم ينشأ على الرغم من وجود أية عقبات، وفي ذلك الشتاء وتلك الظروف غير المواتية نشأ كتابي "هكذا تكلّم زرادشت"، [...] وعلى هذه الدروب تبادر إلى ذهني كتاب زرادشت الأول، ولا سيما زرادشت نفسه- كنمط، والأجرى أن أقول أنه لم يتبادر لي بل هاجمني وغزاني". (179)

تصور نيتشه النمط الزرادشتي كنقطة انطلاق لمنظور جديد، فالأمر لا يتعلق فقط بما ينقله زرادشت، بل بما هو عليه أيضًا، في مذكرته الأولى حول "فكرة العودة الأبدية"، استخدم نيتشه كلمة "دمج" مرارًا وتكرارًا؛ حيث تُدمج "الأخطاء الأساسية" و"العواطف" و"المعرفة" وأخيرًا "فكرة العودة الأبدية" معًا.

اعتبر نيتشه المنظور المادي بمثابة شكل من أشكال الوجود، توجد علاقة بين الأفكار باعتبارها "أعراضًا"، أي تجليات للحياة، والحياة نفسها باعتبارها "تجربة للعارف"، إن ما يغدو عليه المرء يعتمد بشكل قاطع على القيم التي يعيش بها، وعلى النقيض من ذلك، فإن القيم ليست نتاج للعقل فقط، بل هي نتاج للحياة الجسدية والروحية برمتها، وعند النظر من تلك الجهة، يمكننا فهم لما كان من المهم أن يوضح نيتشه خصائص نمط زرادشت من خلال وصف "حالته الفسيولوجية".

"لكي تفهموا هذا النمط الزرادشتي عليكم أولًا أن تكونوا على دراية بحالته الفسيولوجية، والتي أسميتها بـ"الصحة الكبرى"، ولا أستطيع أن أجعل هذا المفهوم أكثر وضوحًا أو أكثر شخصية مما فعلته فعلًا في إحدى الفقرات الأخيرة من الكتاب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخامس من كتابي "العلم المرح".(180)

***

الصحة الكبرى:

خلق نيتشه من خلال النمط الزرادشتي شخصية يمكنها تحمّل منظور "فكرة العودة الأبديّة" وتجسد فكرة "الصحة الكبرى"، أدرج نيتشه اقتباسًا طويلًا من كتاب "العلم المرح" ضمن كتاب "هذا هو الإنسان" بهدف شرح صيغته "الصحة الكبرى"، ومن السمات البارزة للشخص الذي يتمتع بهذه "الصحة الكبرى"، الفضول والجرأة وتعريض الذات للخطر وحب الحياة: "إننا نحن الجُدد، المجهولين، غير المفهومين، نحن الولادات المبكرة لمستقبل لا يزال غير أكيد، لكي نصل إلى هدف جديد، نحتاج إلى صحة جديدة، أكثر حيوية، أكثر مكرًا وعنادًا، أكثر صرامة وجرأة، صحة أكثر بهجة مما كانت عليه أية صحة من قبل، إن من تطمح روحه لأن يعيش وفرة كل القيم والطموحات التي سادت وتسود حتى الآن، لأن يبحر في كل سواحل هذا البحر المتوسط المثالي، مَن يرد أن يعرف من مغامرات تجاربه الأكثر خصوصية ما يشعر به الفاتح والمستكشف المثالي، تمامًا مثل فنان، وقديس، ومشرع، وحكيم، وعالم، وتقي، وعراف، يحتاج هذا الشخص قبل كل شيء إلى شيء واحد، الصحة الكبرى [...]".(181)

تخلق "الصحة الكبرى" منظورًا جديدًا تجاه الحياة، فتسمح بفهم جميع القيم والمنظورات السابقة بشكل هزلي، كما تسمح أيضًا بتبني منظورات متغيرة، وإن لم تكُن خالية من المخاطر تمامًا، نتحدّث هنا عن حرية تغيير المنظورات التي حاول نيتشه تبريرها لنفسه في فصل "لماذا أنا حكيم جدًا؟"، وفي ظل فرضية هذه "الصحة الكبرى"، يغدو من الواضح كيف يصعب اتخاذ منظور فردي وغير مُتغير.

***

الإنسان الأعلى - «كلمة مدروسة للغاية»:

بافتراض توفر إمكانية تغيير المنظورات، يُصبح "المثل الأعلى للعقل" مرئيًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"ويتلاعب بشكل لا إرادي وبنوع من الوفرة والقوة المفرطة، مع كل ما كان يسمى مقدسًا، وصالحًا، ولا يمكن المساس به، وإلهيًا" ونظرًا لاعتماد ما هو مقدس وغير قابل للمساس بشكل أساسي على اعتباره محرمًا ولا يمكن تجاوزه، فإن صيغة نيتشه "يتلاعب" تعني "التهكم غير المقصود" على جميع المُثل السابقة وتشويه سمعتها، في "هكذا تكلّم زرادشت"، أشار المصطلح المضلل "الإنسان الأعلى" إلى منظور جديد ومتعمد: "تشير كلمة "الإنسان الأعلى" إلى نمط من الناس ذوي مكانة فائقة، نمط معارض للإنسان الحديث، معارض للإنسان الصالح، معارض للمسيحيين والعدميين وغيرهم، تكاد تكون تلك الكلمة، التي تقال على لسان زرادشت، مدمر الأخلاقيات، "مدروسة للغاية"، وتُفهم ببراءة شديدة على أنها تطابق لتلك القيم التي تجلى نقيضها في شخصية زرادشت، أي كنمط مثالي لنوع أعلى من الإنسان نصف "قديس" ونصف عبقري".(182)

لقد نأى نيتشه بنفسه هنا بثلاث طرق، فقد أوصى بعدم اعتبار الكلمة المدروسة "الإنسان الأعلى"، والتي تقال على لسان زرادشت، نموذجًا أخلاقيًا جديدًا، لأنه وفقًا لتفسير نيتشه، فإن زرادشت "مدمر للأخلاقيات"، وكذلك، لا يتعلق نمط "الإنسان الأعلى" بنمط جديد أكثر قدرة على البقاء على قيد الحياة وفقًا لنظرية "النشوء والارتقاء" الخاصة بداروين، وضح نيتشه ذلك في كتابه "نقيض المسيح": "إن المشكلة التي أطرحها هنا ليست حول من/ ما الذي ينبغي أن يحل محل الإنسان في سلسلة الكائنات (فالإنسان هو الغاية والنهاية)".

لا يوجد قدوة، ولا مخلّص للبشرية، ولا نمط جديد، ففي الواقع هنالك سوء فهم متكرر لمصطلح "الإنسان الأعلى" الذي نأى نيتشه بنفسه عنه في "هذا هو الإنسان"، ترتبط كلمة "الإنسان الأعلى"، الكلمة المدروسة بعناية والتي تقال على لسان زرادشت، ارتباطًا وثيقًا بتشويه سمعة المُثل السابقة، حينما تحدث نيتشه عن "المسيحيين والعدميين وغيرهم"، أصبح واضحًا أن الفارق بين الإيمان السابق وغياب معايير القيم قد اختفى تمامًا، ومن خلال ما أسماه زرادشت "بالإنسان الأعلى"، حقق نيتشه تغييرًا راديكاليًا في شكل الحياة الذاتية، أي حياة تحدّد أهدافها وقيمها بنفسها، بعيدًا عن منظور تشكيل الحياة بناءً على معايير خارجية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يمتلك "الإنسان الأعلى" القدرة على تقرير مصيره في مواجهة فقدان المعايير الملزمة، تنتهي مقدمة نيتشه لكتاب "هذا هو الإنسان" بدعوة زرادشت للناس لتقرير مصائرهم، "الآن أطلب منكم أن تفقدوني وتعثروا على أنفسكم؛ لن أعود إليكم إلا عندما تنكرونني جميعًا" (183)، أعلن نيتشه في ذلك المكان البارز أن الدعوة إلى الاستقلالية واكتساب المنظورات الفردية هي الفكرة المهيمنة على فلسفته.

***

لحظة للتأمل الذاتي السامي:

من خلال دعوة زرادشت إلى الاستقلالية، سقط ضوء مختلف بعض الشيء على عبارة نيتشه الشهيرة "إعادة تقييم جميع القيم"، والتي تلعب دورًا مركزيًا في كتاب "هذا هو الإنسان"، ربط نيتشه في "هذا هو الإنسان" بين كتاب "الفجر" وإعادة التقييم: "أين سيبحث مؤلفه (مؤلف الفجر) عن ذلك الصباح الجديد، الصباح الأحمر الجديد وغير المكتشف بعد، والذي يحمل معه يوم جديد، آه، عالم كامل من الأيام الجديدة! في إعادة تقييم جميع القيم [...]".(184)

وفي الاقتباس التالي، استكمل نيتشه هذا البحث من خلال تحديد مهمته: "إن مهمتي هي إعداد لحظة للتأمل الذاتي السامي للبشرية، منتصف ظهيرة عظيمة، حيث تنظر للوراء وللأمام معًا، حيث تخرج عن طوع وحكم الصدفة والكهنة لأول مرة، لتطرح سؤالًا عن سبب ومكان البشرية ككل، تنبع هذه المهمة بالضرورة من إدراك أن البشرية لا تتبع الطريق الحق لمسارها، وأنها لا تخضع بأي حال من الأحوال لحكم إلهي، وأن الغرائز السائدة بين مفاهيمها الأكثر تقديسًا للقيمة هي غريزة النفي، والفساد، والانحطاط".(185)

لم يهدف مشروع نيتشه المتمثل في "إعادة تقييم جميع القيم" في البداية إلى تأسيس قيم جديدة، بل تعلق بالاعتراف بأمر ضروري ألا وهو عدم خضوع البشرية لأي حكم إلهي، لقد وصف نيتشه مهمته بأنها إعداد "لحظة للتأمل الذاتي السامي" للبشرية أو لحظة من الاستقلال الكامل، تواجه البشرية ككل وحدها مهمة العثور

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على إجابة لسؤال المعنى والمعايير الممكنة، تُميز الاستقلالية الكاملة، والحاجة إلى تقرير المصير صورة نيتشه عن "الظهيرة العظيمة"، بالإضافة أيضًا إلى المحايثة الراديكالية، والتي تعتبر كل لحظة في الوجود -حتى الأكثر إثارة للاشمئزاز- أبدية، ربط نيتشه في مذكراته من خريف عام ١٨٨١ بين "العودة الأبدية" ووقت الظهيرة: "[...] وفي كل دورة من دورات الوجود الإنساني، توجد دومًا ساعة تظهر فيها الفكرة الأقوى أولًا لشخص واحد، ثم للعديد، ثم للكل، تلك الفكرة هي "العودة الأبدية"، ودائمًا ما تكون تلك الساعة هي ساعة الظهيرة".(186)

لا تعد كلمة "الإنسان الأعلى" مجرد شعار مُبتذل، بل هي "كلمة فكرية مدروسة بعناية" وتعبّر عن إمكانية نشأة "نمط من البشر" يمكنه تحمّل منظور المحايثة الراديكالية والاستقلالية، علّق نيتشه في "هذا هو الإنسان" على المقطع الختامي للكتاب الثالث من "هكذا تكلّم زرادشت" قائلًا: "من خلال استخدامي لنوع من الديثرامب الشعري في فصل "الأختام السبعة" في الجزء الثالث من "هكذا تكلم زرادشت" حلقت لآلاف الأميال فوق كل ما أطلق عليه اسم شعر حتى الآن".(187)

ففي ذلك المقطع الختامي، فقدت الحاجة إلى تقرير المصير كل جاذبيتها، على الرغم من الافتقار إلى كل المعايير.

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الثامن

أوّل إنسان مُحترم

قدر نيتشه

القَدَر والإرادَة:

"قُدر لي أن أكون أول إنسان مُحترم، وأن أقف في مواجهة زيف العصور، أنا أوّل مَن اكتشف الحقيقة من خلال استشعار الكذبة ذات الرائحة النتنة، تكفن عبقريتي في أنفي، إنني أتناقض كما لم يتناقض أحد من قبلي قط، ومع ذلك فأنا على النقيض من الروح الرافضة للحياة، فأنا مبشر فرح لم يوجد مثله قبل في التاريخ، أعرف مهام عظيمة لم يسبق تصورها؛ وُلِد الأمل معي من جديد، ويتضح من كل ذلك أنني بالضرورة رجل المصير"(188).

وصف نيتشه الإرادة -بعيدًا عن كونها "إرادة حرة"- بأنها تجربة معقدة للغاية، وبأنها مجموعة معقدة من المشاعر والأفكار والعواطف: "اعتاد الفلاسفة الحديث عن الإرادة وكأنها الأمر الأتم معرفة في العالم؛ [...] فلنكن إذن أكثر حذرًا ولنكن "لا فلسفين"، ولنقل: في كل إرادة هناك، أولًا، وفرة من المشاعر، أي الشعور بالحالة التي نبتعد عنها، والشعور بالحالة التي نصبو إليها والشعور بال"عن"، وال"إلى" نفسه، ومن ثم الشعور العضلي المُصاحب، والذي بمجرد أن نريد حتى يبدأ لعبته بفعل عادة معينة وحتى دون أن نُحرّك ذراعًا أو رجلًا، ومثلما ينبغي الاعتراف بأن الشعور -بكل أنواعه- هو عنصر أساسي من عناصر الإرادة، ينبغي علينا أيضًا، ثانيًا، الاعتراف بأن الفكر ملازمًا لها كذلك، توجد فكرة آمرة في كل فعل من أفعال الإرادة، ولا ينبغي عليكم أن تعتقدوا أنه يمكن عزل هذا الفكر عن الإرادة، كما لو أن إرادة ما ستبقي بعد ذلك! (وأن نعترف) ثالثًا، أن الإرادة ليست مجرد مجموعة معقدة من المشاعر والأفكار فحسب، بل هي، قبل كل شيء، عاطفة أيضًا، إن ما يُسمَّى بحرية الإرادة هو في الأساس عاطفة التفوق فيما يتعلق بالشخص الذي يجب أن يطيع: (أنا حر، وعليه "هو" أن يطيع)، يلازم هذا الوعي كل إرادة، ويلازمها أيضًا ذلك الانتباه المتوتر، تلك

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النظرة الثاقبة المحدقة في شيء واحد دون سواه، ذلك التقييم المطلق القائل "الآن يلزمنا هذا ولا شيء سواه"، ذلك اليقين الداخلي بأن الطاعة لا بد منها، وأن كل شيء آخر ينتمي إلى حال الآمر"(189).

لا تتعارض تجربة "حرية الإرادة" كشعور بالتفوق مع تجارب القدر اللاإرادي، تكتسب الإرادة نفسها شيئًا قدريًا من أجل الفرد، ماذا أو كيف يريد شخص ما يُشكّل جزءًا أساسيًا من مصيره.

"ولكن في جوهرنا، يوجد بالطبع شيء لا يمكن تعلمه، صخرة جرانيتية من القدر الروحي، من قرارات محددة سلفًا وإجابات على أسئلة محددة مسبقًا ومنتقاة". (190)

وانطلاقًا من هذا المعنى، فمن المقدر والحتمي أن يغدو نيتشه "أول إنسان محترم"، إن نفوره من "زيف العصور" لا ينبع من اعتبارات نظرية كان بإمكانه تجنبها، سيطر هذا النفور عليه ككل وأثر بشكل متساوٍ على إدراكه وتفكيره وعواطفه.

***

المُتفجرات التّاريخيّة:

وفقًا لتفكير نيتشه المبكر، تعد العبقرية ظاهرة تاريخيّة استثنائيّة، ومع ذلك، يمكن فهمها أيضًا كنتيجة للتاريخ السالف: "مفهومي عن العبقرية، إن الرجال العظماء، مثل العصور العظيمة، هم مواد متفجرة تتراكم بداخلها قوة هائلة، إن افتراضهم المسبق دائمًا، تاريخيًا وفسيولوجيًا، هو أنه تم جمع وتراكم وحفظ تلك القوة بداخلهم لفترة طويلة، ولم يحدث أي انفجار أو تحرر منذ فترة طويلة، وإذا أصبح التوتر في أي كتلة كبيرًا جدًا، فإن أدنى تحفيز يكفي لاستدعاء العبقرية والفعل والمصير العظيم إلى العالم".(191)

تُعبّر الصيغة المُذهلة في "هذا هو الإنسان" "أنا لست إنسانًا، بل مادة متفجرة" عن نفس الشيء، حيث رأى نيتشه نفسه -في سياق هذه الاستعارة المُتفجرة- كظاهرة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

استثنائية ينفجر فيها التوتر التاريخي.

وفي رسالة إلى مالفيدا فون مايزنبورغ عام ١٨٨٦، قال نيتشه عن نفسه: "رفعت أكوام الديناميت التي استخدمت في بناء خط سكة حديد غوتهارد علم التحذير الأسود الدال على خطر قاتل، وبهذا النحو يمكننا التحدث عن الكتاب الجديد للفيلسوف فريدريك نيتشه بوصفه كتابًا خطرًا، [...] إن المتفجرات الفكرية، كنظيرتها المادية، قد تخدم أهدافًا مفيدة جدًا، وليس من الضروري لها أن تستخدم لأغراض إجرامية، من الأفضل أن نقول ذلك بوضوح، حيث تخزن متفجرات كهذه، ثمة ديناميت هنا".(192)

وفقًا لمفهوم نيتشه الذاتي، فإن هذا التوتر -المتفجر- تم "جمعه وتراكمه وحفظه لفترة طويلة"، وفي الفقرة الثالثة من فصل "لماذا أنا مميت" رسم نيتشه قوسًا يحتضن في الواقع مسافة تاريخية، إن نقطة انطلاقه هي اختيار عنوان كتاب "هكذا تكلّم زرادشت"، صور نيتشه زرادشت على أنه خالق للتفسير الأخلاقي الشامل للوجود، ووضّح نيتشه استخدامه لاسم زرادشت كإشارة إلى أن التفسير الأخلاقي للوجود -تحديدًا لأنه بدأ من قبل الإنسان- يمكن إبطاله أيضًا: "لم أسأل، وكان من المفترض أن أسأل عمّا يعنيه اسم زرادشت بالنسبة لي أي بالنسبة إلى اللاأخلاقي الأول، لأننا على النقيض تمامًا مع كل ما كان يمثله الطابع الفريد لهذه الشخصية الفارسية عبر التاريخ، كان زرادشت أول مَن رأى أنّ الصراع بين الخير والشر هو العجلة المحركة للأشياء، فترجمة الأخلاق ميتافيزيقيا على أنها قوة، وسبب، وهدف في ذاتها، هي من عمل زرادشت، لقد ابتدع زرداشت هذا الخطأ الشنيع، ألا وهو الأخلاق، وبالتالي عليه أن يكون أول مَن يعترف به، [....] تجاوز الأخلاق من خلال الصدق، وتجاوز الأخلاقي لذاته ليحل في نقيضه، هذا ما يعنيه اسم زرادشت بالنسبة لي.(193)

إنّ المنظور الذي بموجبه تركز الحياة على المواجهة بين الخير والشر، والذي بموجبه تصبح هذه المواجهة هي القوة الدافعة للوجود، هو منتج بشري قوي تاريخيًا: "لقد خلق زرداشت هذا الخطأ الشنيع، ألا وهو الأخلاق: [...]"، وانطلاقًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من هذا المعنى، يعد تغيير المنظور عملًا خلاقًا بقدر ما هو عمل تدميري، خلاق لأن التفسير الجديد للوجود يصبح مِواتٍ لأشكال جديدة من الحياة، وتدميري لأن المنظور التقليدي يختفي حاملًا معه أساليب وأشكال الحياة التي تدين هذا التفسير.

وفقًا لتفسير نيتشه في كتاب "هذا هو الإنسان"، يُمثل مثل هذا التغيير في المنظور مصيره الشخصي والمصير الذي يمثله تاريخيًا: "هل ترغبون في وجود صيغة مُتجسدة لمثل هذا المصير؟

- إنها موجودة بالفعل في زرادشت الخاص بي.

- ومَن أراد أن يكون خالقًا في الخير والشر، عليه أولًا أن يكون مدمرًا ومحطمًا للقيم، ولذلك فإن أقصى شر ينتمي إلى أقصى خير، وهذا هو الخير الخلاق".(194)

***

تجاوز الأخلاق:

[...]"صيغة مُتجسدة لمثل هذا المصير"، يعد مصير نيتشه -وفقًا لمفهومه الذاتي المتأخر- نقطة تحول تاريخية أيضًا، عرّف نيتشه هذا المصير على أنه "تجاوز للأخلاق من خلال الصدق"، "وتجاوز الأخلاقي لذاته ليحل في نقيضه"، خُلق التوتر، الذي ينفجر فيه اللاأخلاقي الأول، والذي يؤدي إلى إلغاء التفسير الأخلاقي للوجود، تاريخيًا أي من خلال الأخلاق نفسها، يمكننا رؤية هذا التقييم في وقت سابق خاصة فيما كتبه نيتشه في "ما وراء الخير والشر": "تجاوز الأخلاق، بل تجاوز الأخلاق لذاتها بمعنى ما: ليكن هذا هو الاسم لذلك العمل السري الطويل، الذي خُصص لأصدق الأرواح وأشرفها، وحتى أكثرها خبثًا في يومنا هذا، بوصفه محكًا حيًا للروح". (195).

ويظهر الإلحاد أيضًا -في الكتاب الخامس من "العلم المرح"- كنتيجة لتجاوز الذات أو إلغائها: "إنّ الإلحاد الصادق غير المشروط هو [...] نصر اكتسبه الوعي الأوروبي بشق الأنفس، باعتباره العمل الأهم في عملية ترويض الحقيقة التي استمرت ألفي عام، والتي انتهت برفض كذبة الإيمان بالإله، نرى هنا إجمالًا الشيء الذي حققه هذا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النصر على الإله المسيحي، الأخلاقية المسيحية نفسها، مفهوم الصدق الذي أخذ بمعنى صارم أكثر فأكثر، دقة الشعور المسيحي، مترجمًا ومرتقيًا إلى شعور علمي وإلى الوضوح الفكري بأي ثمن"(196).

إنّ مصير "أول إنسان محترم" في ختام تربية طويلة على الصدق، وعلى "الضمير الفكري"، أن يُضطر إلى إلغاء افتراضاته الأخلاقية والدينية المُسبقة تحديدًا بسبب هذا الضمير، يتضمن هذا المصير شكًا ذاتيًا أوسع يتعلق بدوره غير المستقر، صاغ نيتشه هذه الفكرة في الكتاب الخامس من "العلم المرح": "لا شك أن الإنسان الصادق بهذا المعنى الجريء والنهائي، كما يقتضيه الإيمان في العلم، يثبت بهذا عالمًا آخر غير عالم الحياة والطبيعة والتاريخ؛ [...] لابد للناس أن يفهموا ما أحاول الوصول إليه، وهو أن إيماننا بالعلم لا يزال وسيبقى مرتكزًا على اعتقاد ميتافيزيقي، وأننا نحن الذين نبحث اليوم عن المعرفة، نحن الملحدين والمناهضين للميتافيزيقا، ما زلنا نستمد نارنا من اعتقاد عمره آلاف السنين، ذلك الاعتقاد المسيحي، والذي كان أيضًا اعتقاد أفلاطون، الاعتقاد بأن الإله هو الحقيقة، وبأن الحقيقة إلهية..."(197).

يبدو أن تفكير نيتشه المرن، الذي تتحوّل فيه الحقيقة الواحدة إلى لعبة من المنظورات المتغييرة، قد أفسح المجال في فصل "لماذا أنا مميت" لوجهة نظر اكتسبت كحقيقة جديدة ضمن جبهات واضحة، وبالطبع لا ينبغي أن ننسى في هذا السياق أن نيتشه كتب "هذا هو الإنسان" بنية استفزازية وكتحضير لكتابه "نقيض المسيح"، وبالرغم من ذلك، فقد تردد صدى شيء من الشك الراديكالي في الذات بعد تجاوز بعض من القيم التقليدية في إحدى مقاطع "هذا هو الإنسان": "إن اكتشاف الأخلاق المسيحية هو حدث لا مثيل له، وكارثة حقيقة، إن مَن يكشف عنها هو "قوة قاهرة"، قدر ومصير، إنه (زرادشت) يُقسّم تاريخ البشرية إلى قسمين، إمّا أن يعيش الإنسان قبل زرادشت، أو بعده، تصعق الحقيقة المضيئة كالبرق ذلك القائم في الذروة، وإن من يفهم ما ذُمر حينذاك، ينبغي عليه رؤية ما إذا كان لا يزال يمسك شيئًا في يده"(198).

لم يبقَ "لأول إنسان محترم" الكثير، "وإن مَن يفهم ما ذُمر حينذاك، ينبغي عليه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رؤية ما إذا كان لا يزال يمسك شيئًا في يده."

***

مهمة فوق إنسانيّة نسبيًا:

وفقًا لتقييم نيتشه، يعتمد ما يبقى بعد هذه "الكارثة الحقيقية" المذكورة في الاقتباس الأخير على "نمط الإنسان" المعني، يبدأ سير أفكاره في شرح مصطلح "اللاأخلاقي": "وفي الأعماق، هنالك سلبيتان تندرجان تحت مصطلح اللاأخلاقي، السلبية الأولى هي نمط الإنسان الذي كان يعتبر في السابق الأسمى، (الصالح، المتسامح، المحسن)، ومن ناحية أخرى فإنني أنكر ذلك النوع من الأخلاق التي أصبحت سائدة ومسيطرة باعتبارها أخلاق في حد ذاتها، أخلاق الانحطاط، أو بصورة أكثر وضوحًا، الأخلاق المسيحية"(199).

وعلى الرغم من وصف نيتشه لأخلاق الانحطاط بأنها شرط أساسي لتقييم الصالحين، إلا أن نفيه لها يتمتع بطابع أساسي، وركز نيتشه بعد ذلك على "سيكولوجية الإنسان الصالح"، لم يتبقَ لنيتشه الكثير بعد أن أخذ مصير "أول إنسان محترم" مجراه، إن شرط وجوده معارض للصدق، وشرط وجود "الصالحين" هو النفاق: "وبمعنى مختلف أقول: عدم الرغبة في رؤية الحقيقة بأي ثمن، أي الحقيقة التي تتحدى دائمًا الغرائز الصالحة، ناهيك عن الحقيقة التي تحتمل التطفل المستمر للأيدي الصالحة، إن النظر إلى الحالات الطارئة بجميع أنواعها باعتبارها اعتراضًا، أو باعتبارها شيئًا ينبغي تدميره هو سخف شديد، وبصفة عامة، فهو كارثة حقيقية في عواقبه، غباء مميت، بنفس درجة الغباء في إلغاء الطقس السيئ بدافع الشفقة على الفقراء [...]"(200).

يتجنّب الأشخاص "الصالحين" أهوال الحقيقة، التي يرى نيتشه فيها إمكانية سيادة منظورات وأساليب حياة جديدة حتى في وجه المعارضة، إن التناقض بين الخلق والتدمير -المرتبطان حتمًا بوجود خالق وفقًا لنيتشه- هو سبب رفض الصالحين لذلك النوع من الحياة، ويثبتون بذلك أنهم "أكثر أنماط البشر ضررًا، لأنهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يفرضون وجودهم على حساب الحقيقة بقدر ما هو على حساب المستقبل" (201)، تهدد خيبة الأمل في المعتقدات الدينية أو الأخلاقية أيضًا وجود "الصالحين" لأنهم لا يستطيعون بمفردهم خلق أي شيء يمكن أن يحل محل ما فقدوه.

وصف نيتشه فيما بعد نمطًا مختلفًا من البشر، كاستثناء للقاعدة السابقة، هذا النمط هو "الرجل السيئ" من منظور "الأشخاص الطيبين": "إذا ارتقى نمط منحط إلى أعلى مرتبة من الأنماط، فإن هذا لا يمكن أن يحدث إلا على حساب النمط المقابل له، أي النمط القوي المتيقن من الحياة، وإذا تألق قطيع الحيوانات في بهاء أنقى فضيلة، فلا بد أن الإنسان الاستثنائي قد انحط إلى مرتبة الشر، وإذا ما أصر على الزيف بأي ثمن على الرغم من نشره "للحقيقة" باعتبارها المنظور العلمي، فإن الإنسان الصادق حقًا يجب البحث عنه وسط مَن لهم أسوأ سمعة، ولا يترك زرادشت أي مجال للشك هنا فهو يقول: إنّ معرفة الخير، والأفضل هي بالضبط ما أصابه بالرعب من البشرية، ومن هذا الشعور بالاشمئزاز نما جناحين له ليحلق في آفاق المستقبل البعيدة، وهو لا يخفي حقيقة أن هذا النمط البشري، أي النمط الأعلى نسبيًا هو إنسان أعلى بصفة خاصة عند مقارنته بالإنسان الصالح، وسوف يسمونه شيطانًا بسبب كونه إنسانًا أعلى".(202)

قدّم نيتشه هنا تعليقًا جديرًا بالملاحظة حول مصطلح مُثير للجدل في كتاب "هكذا تكلّم زرادشت" وهو "الإنسان الأعلى"، ويصبح من الواضح أن نمط الإنسان القادر على التأقلم مع "كارثة" النظرة الحقيقية للوجود يمثل حتى الآن حالة استثنائية للغاية، توجب على زرادشت أن "يحلق نحو المستقبل البعيد"، ولهذا السبب فقط -وليس لأنه يتعلق بنمط جديد- استخدم نيتشه مصطلح "الإنسان الأعلى" في "هكذا تكلم زرادشت"، إن هذا النمط هو فقط "فوق إنساني نسبيًا" من وجهة نظر "الصالحين" ومقارنة بهم، الأمر الحاسم والأهم الآن هو ما يدعو إليه هذا النمط، وفقًا لتعليق نيتشه في "هذا هو الإنسان": "ومن هذه النقطة تحديدًا، يجب على الإنسان البدء في فهم ما يهدف إليه زرادشت- نوع الإنسان الذي يتصوره، ويتصور الحقيقة كما هي؛ إنه قوي بما فيه الكفاية من أجل الحقيقة، فهي ليست ببعيدة عنه، لأنه هو

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نفسه الحقيقة، ويمكننا أن نجد بداخله كل الشك والرعب في الحقيقة، وعندها فقط يمكن للإنسان أن يتمتع بالعظمة"(203).

اكتشف هذا النمط الآخر من الإنسان نفس ما اكتشفه "أول إنسان محترم" من "أشياء فظيعة" حول الوجود، تفكك صيغ نيتشه هنا الواقع المستقل وحقيقته الموضوعية، يطلق منظور هذا النمط الإبداعي، الذي وصفه نيتشه هنا، العنان لوجهات النظر والأهداف وطرق الحياة المختلفة، وانطلاقًا من هذا المعنى، يصبح هو نفسه واقع الحياة الإبداعية، وفقًا لأمل نيتشه الكبير، يجد هذا النمط "أهدافه" و"حكمته" و"مهمته" في هذا الجانب من المبالغات المثالية: في نفسه.

***

عشق القدر :Amor fati

لا يُمكننا التحكُّم في «الحقيقة كما هي»، بالرغم من كل ما بها من رعب وشك إلا أنها كما هي، يتناغم «نمط الإنسان الذي تصوره (زرادشت)» بشكل إبداعي مع هذه الحقيقة الحيّة الخالقة والمُدمرة، ومن هذا المنظور، فإن «هذه الحقيقة كما هي» ليست سوى صياغة أخرى لما أسماه نيتشه بالقدر، إن الإيجابية الخالية من أوهام القدر، كما هو «مُتصور» هنا، ليست فقط موضوع الفصل الأخير من «هذا هو الإنسان»، بل تخلل الكتاب بأكمله، ينتهي فصل «لماذا أنا ذكي جدًا» بشكل صريح بما يلي: «إن صيغتي لعظمة الإنسان هي عشق القدر [باللاتينية]Amor fati على الإنسان ألا يرغب في تغيير أي شيء سواء في المستقبل أو في الماضي أو للأبد، ليس عليه فقط تحمل الضرورة، ناهيك عن إخفائها، بل أن يحبها أيضًا». (204)

في «هذا هو الإنسان»، حاول نيتشه التأكيد على ما يعتبره قدره، أي قدر «أول إنسان محترم»: «[...] لا تؤذيني الضرورة؛ لأن عشق القدر هو طبيعتي العميقة»(205).

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل التاسع

ديونيسوَس ضد المسيح

صيغ نيتشه:

اخترع نيتشه صِيغًا لكي تُعبّر عن أفكاره، وفيما بعد، أصبحت بعض هذه الصِّيغ عناوين لكتبه، تُظهر مسوداته مدى كثافة عمله على هذه العناوين قبل أن يقرر إعطاء أحد كتبه عنوانًا محددًا، بدأ كتاب "إنسان مفرط في إنسانيته" سلسلة من العناوين اللافتة للنظر والتي لا تُنسى، دائمًا ما تُثير عناوين كتب نيتشه الرئيسية والفرعية على حد سواء الفضول والتساؤل.

"العلم المرح": ما الذي يجعل المنهجية العلمية مرحة؟ "ما وراء الخير والشر": إما الخير أو الشر، ماذا يمكن أن يوجد وراءهما؟ "علم أنساب الأخلاق": دراسة أصل الأخلاق؟ يحتوي العنوان "أفول الأصنام" أو "كيف تتفلسف بالمطرقة" على سؤال مثير للقلق، على الرغم من أن عنوان كتاب مثل "الفجر" قد يُثير أسئلة أقل، إلا أنه يجعل محتوى الكتاب غير واضح، فلا يوضح محتواه إلا العنوان الفرعي "أفكار حول الأحكام الأخلاقية المسبقة".

لا تصوغ الغالبية العظمى من عناوين كتب نيتشه مواضيعًا بالمعنى التقليدي، ولا تنتهي كتبه بنتيجة، أشار نيتشه صراحة إلى الختام غير التقليدي لكتاب "الفجر" في إحدى فقرات كتاب "هذا هو الإنسان": "ينتهي هذا الكتاب (الفجر) بـ"أو؟"، إنه الكتاب الوحيد الذي ينتهي بـ"أو؟"..." (206).

حتى من بين كُتُب نيتشه نفسه، فإن "الفجر" هو الكتاب الوحيد الذي يختتم بـ"أو؟" -على الأقل من حيث الصياغة- ومع ذلك، فمن المميز على نحو خاص هو انتهاء كتب نيتشه الأخرى أيضًا بنهايات مفتوحة: ينتهي "مولد التراجيديا" بحوار يعود إلى العصور القديمة ويختتم بالدعوة "اتبعني إلى التراجيديا وقدم التضحية معى في معبد الإلهين (أبولو وديونيسوس)" (207)، ويُختتم المجلد الأول من "إنسان مفرط في إنسانيته" ببحث "يبحثون عن فلسفة الصباح" (208)، ويختتم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المجلد الثاني المحادثة بين الهائم وظله بغروب الشمس وينظر الهائم حوله بحثًا عن ظله، "أين أنت؟ أين أنت؟"(209).

وفي ختام الكتاب الرابع -والأخير- من كتاب "العلم المرح"، تظهر شخصية زرادشت لأول مرة في إحدى المقتطع وينتهي المقطع ببداية جديدة: "وهكذا بدأ سقوط زرادشت"(210)

وفي ختام كتاب "علم أنساب الأخلاق"، تنغلق الدائرة: "وفي هذا الختام، سأكرر ما سبق لي أن قلته في البداية، يفضل الإنسان أن تكون له إرادة العدم على ألا تكون له إرادة بالمرة..."، ويختتم كتاب "أفول الأصنام" -متبوعًا باقتباس من زرادشت- باثنين من تسميات نيتشه الذاتية: "أنا آخر تلميذ للفيلسوف ديونيسوس، أنا معلم العودة الأبدية..." (211)، أما كتاب "نقيض المسيح" فيختتم بسؤال عمّا إذا كان الوقت قد حان لإنشاء تقويم جديد: "يؤرخ البشر الزمن انطلاقًا من اليوم المشؤوم الذي بدأ معه هذا الهلاك، أي انطلاقًا من اليوم الأول للمسيحية! لما لا نؤرخ انطلاقًا من يومها الأخير؟ ابتداءً من اليوم؟ إعادة تقييم جميع القيم! ..."(212)

تستند جميع هذه المقاطع الختامية إلى صيغ نيتشه: زوج المفاهيم المتكامل "ديونيسوس- أبولو" منذ "مولد التراجيديا"، "فلسفة الصباح" و"المتجول وظله" منذ "إنسان مفرط في إنسانيته"، "سقوط زرادشت" و"الفيلسوف ديونيسوس" و"العودة الأبدية" و"إعادة تقييم جميع القيم".

لا يمكن فهم هذه الصيغ بمفردها، ينشأ بعض الانزعاج والفضول من الارتباطات الفكرية التي تثيرها، ولكن بصرف النظر عن هذه الارتباطات الفكرية، فهي ببساطة لن تُفهم إلا إذا قرأت في سياق كتابة نيتشه لها.

اكتشاف غريب: تكشف عناوين كتب نيتشه القليل عن محتواها، ولا تصيغ مقاطعها الختامية أي نتائج، تشير عناوين الكتب ومقاطعها الختامية إلى النص بطريقة نمطية، يتكون هذا النص من تصريحات وحجج متباينة، تجمع نصوص نيتشه أيضًا بين الأضداد بطريقة مفاجئة، هناك مقطعان ختاميان آخران يشيران إلى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مصدر هذه السمات المميزة لكتابات نيتشه: "إنما المهم في النهاية هو هذه الحيوية الأبدية: ما أهمية "الحياة الأبدية"، بل والحياة عمومًا!" (213)، قبل عام من نشر "الهائم وظله"، شكل هذا المقطع خاتمة الجزء الثاني من كتاب "إنسان مفرط في إنسانيته"، الذي طبع عام ١٨٧٩، كجملة ختامية لكتاب، تتجاوز هذه الجملة -باعتبارها خاتمة لكتاب- القول المأثور الذي تُشكّل نهايته، وفيما يتعلق بالنص السابق، تشير الحيوية هنا إلى ثمانية مؤلفين قد ماتوا بالفعل، لذلك يتحدّث نيتشه عن حيوية تنتقل من خلال النصوص، بل وتتحوّل هي نفسها إلى نصوص.

وثقت نصوص نيتشه حيوية تفكيره، إن اللافت للنظر بحق في نصوصه هو تجنبه للنتائج والإثباتات قدر الإمكان، يمكننا فهم كلمة "إثباتات" هنا بشكل حرفي تمامًا، يتجنّب نيتشه ثبات تفكيره في النصوص، وربّما يفسّر ذلك أيضًا فرادة الصيغ التي يستخدمها في عناوين الكتب أو في ختامها وبالطبع داخل النصوص نفسها.

تحول الصيغ بدايات ونهايات النص إلى مناطق تأثير مرنة، ويُعاد القارئ مرة أخرى إلى نصوص نيتشه من قبل صيغ نيتشه، والتي تُثير الفضول دون أن تكون مفهومة خارج سياقها.

صاغ نيتشه حقيقة أنه حتى بهذه الطريقة فإن النص لا يُعبّر بشكل كامل عن حيوية أفكاره كخاتمة لـ"ما وراء الخير والشر": "آه، ماذا يحل بك يا أفكاري المكتوبة والمرسومة! لم يمضِ وقت طويل منذ كنت زاهية وفتية وشرسة، ومليئة بالأشواك والنكهات سرية التي تجعلني أعطس وأضحك، والآن؟ لقد خلعتِ حداثتكِ، وأخشى أن بعضًا منكِ في صدد أن يصيروا من الحقائق: إنهم يبدون خالدين جدًا بالفعل، فيا لشبه الاستقامة المثير للأسى والضجر، وهل كان الأمر يومًا على غير ذلك؟ وما هي الأشياء التي نكتبها ونرسمها، نحن الماندرين بفرشنا الصينية، نحن مخلدي الأشياء التي تسمح لنا بكتابتها، ما هو الأمر الوحيد الذي نتقن رسمه بمفردنا؟ [...] إنه عصرك أنتِ، يا أفكاري المكتوبة والمرسومة، وله وحده أملك الألوان -الكثير من الألوان ربّما- كما أملك حنانًا وعطفًا ملوّنًا وفيرًا، وخمسين من الأصفر والبني والأخضر والأحمر - لكن لا أحد سيعرف كيف كنت في صباحك يا عجائب وحدتي وشراراتها المفاجئة،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كيف كنت في صباحك، يا أفكاري القديمة الحبيبة- يا أفكاري الخبيثة!".(214)

ويختتم "هذا هو الإنسان" أيضًا بإحدى صيغ نيتشه ألا وهي "هل فهمتموني؟ ديونيسوس ضد المسيح..."(215)، تأتي هذه الصيغة في نهاية تصور نيتشه لذاته، "ديونيسوس ضد المسيح"، تلك هي الصيغة التي يعثر عليها نيتشه من أجل حياته، تعد هذه الصيغة بالنسبة لنيتشه ذات مكانة خاصة، لدرجة أنه احتفظ بها في الفترة اللاحقة لانهياره العقلي، حيث وقع نيتشه رسائله القصيرة بعد ٤ يناير باسم "ديونيسوس" و"المسيح" بالتناوب.

وعلى الرغم من وصول التفسير هنا إلى حدود شرعيته، إلا أنه ينبغي على المرء على الأقل أن يتفاجأ باختفاء التناقض، وبأن نيتشه لا يتحد مع ديونيسوس فقط بل مع المسيح أيضًا.

تُثير هذه الصيغة غير المفهومة في حد ذاتها لنيتشه ثلاثة أسئلة، السؤال عمّا يرمز إليه "ديونيسوس"، والسؤال عمّن أشار إليه نيتشه بـ"المسيح"، وأخيرًا السؤال عمّا إذا كان لديهم ترجمة متقابلة ومتضادة.

نظرًا للدور الفريد الذي يلعبه "ديونيسوس" و"المسيح" في سياق كتابات نيتشه، فمن الواضح مقدمًا أن هذه الصيغة لا تعني بالتأكيد، "كانت حياتي صراعًا مظفرًا لإله النبيذ الإغريقي ضد المسيح".

***

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل العاشر

ديَونيسوس

إله كفيلسوف:

يلعب ديونيسوس -الإله اليوناني- دورًا محوريًا في كتاب "هذا هو الإنسان"، فبالفعل استخدم نيتشه هذا المصطلح في مقدمة "هذا هو الإنسان" لينأى بنفسه: "[...] إنني ذو طبيعة مُغايرة تمامًا لنوع الشخص الذي كُرم سابقًا باعتباره فاضلًا، ولكن -فيما بيننا- يلوح لي أن هذا بالضبط هو مدعاة لزهوي، إنني تلميذ للفيلسوف ديونيسوس، وأفضل أن أكون ساتيرًا على أن أكون قديسًا". (216)

وفقًا للخيالات القديمة، كان الساتير، وهم مخلوقات غابة وحشية، يرقصون ويعزفون الموسيقى في أعقاب الإله ديونيسوس، للوهلة الأولى يبدو أن نيتشه انضم إلى حاشية ديونيسوس هذه، لكن يمكننا ملاحظة وجود شيء غريب في صياغته على الفور، لا يتحدّث نيتشه عن الإله ديونيسوس، بل عن الفيلسوف ديونيسوس، يمكننا العثور على صيغة "الفيسلوف ديونيسوس" في ملاحظات نيتشه كمسودة لعنوان كتاب أو عنوان فصل(217)، أشار نيتشه إلى الطبيعة المُذهلة لهذه الصيغة في كتابه "ما وراء الخير والشر": "تبدو لي حقيقة أن ديونيسوس فيلسوف وأن الآلهة تتفلسف أيضًا تجديدًا لا يخلو من الحرج، وقد يُثير هذا الأمر بعض الارتياب بين الفلاسفة بالذات، أما بينكم يا أصدقائي، فسيكون هذا التجديد أكثر قبولًا، إلا إذا تأخر وجاء في غير أوانه، لأنكم اليوم، كما قيل لي، لا تحبذون الإيمان بالآلهة". (218)

وضّح هذا المقطع أن نيتشه لم يحاول إحياء الإيمان بالإله اليوناني، حيث يأتي اسم ديونيسوس في سياق إلحادي، "لأنكم اليوم، كما قيل لي، لا تحبذون الإيمان بالآلهة"، تحقق صيغة "الفيسلوف ديونيسوس" هدفها المتمثل في أن تكون لافتة للنظر وحتى مثيرة للاستياء، هدف نيتشه بوضوح إلى إثارة الارتياب "بين الفلاسفة" بهذه الصيغة، ممّا يعني أنها يجب أن تكون مثيرة للاستياء لكي تعمل على إثارة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفكر.

باستخدام السمة "الديونيسية"، أشار نيتشه بإيجاز إلى مجموعة معقدة من الأفكار، استخدم نيتشه هذه السمة بالفعل في كتابه الأول "مولد التراجيديا من روح الموسيقى"، ذكر نيتشه في المقدمة اللاحقة لهذا الكتاب: "أرى أن غريزتي، الغريزة الإيجابية نحو الحياة، قد انقلبت ضد الأخلاق في ذلك الوقت، وخلق هذا الكتاب عقيدة معارضة أساسًا وتقييمًا للحياة، أي عقيدة فنية تمامًا ومناهضة للمسيحية، ماذا يمكنني أن أسمي كل هذا؟ باعتباري عالمًا لغويًا وأديبًا، لقد قمت بتعميد هذا التفكير، لكن بشيء من الحرية، مَن الذي يدري ما هو الاسم الحقيقي لنقيض المسيح؟ أدعوه باسم الإله الإغريقي: ديونيسوس". (219)

إنّ الحرية، التي تحدّث عنها نيتشه في الاقتباس السابق، هي حرية ربط أفكاره الخاصة، وليس فقط نتائج بحثه كعالم لفقه اللغات الكلاسيكية، بالمصطلح الديونيسي، وبالإضافة إلى ذلك، فهي الحرية الفنية التي منحت الأستاذ الشاب فريدريك نيتشه سمعته العلمية عام ١٨٧٢ في بازل، ومن ناحية أخرى، ذكر نيتشه في "هذا هو الإنسان" أن هذا كان "بداية" واحدة من أكثر تجاربه الفكرية عمقًا:" كانت هذه البداية ملحوظة بشكل لا مثير له، فمن خلال تجربتي العميقة، اكتشفت الصورة الرمزية الوحيدة التي يمتلكها التاريخ، ولذلك فقد كنت أول من فهم الظاهرة الديونيسية العجيبة". (220)

إنّ جوهر هذا المقطع السابق هو استخدام نيتشه لـ"الظاهرة الديونيسية" كمجاز لتجربته الداخلية العميقة، بالنسبة له، يتعلق الأمر بإمكانية التعبير عن الذات وجعلها مفهومة، أصبح "ديونيسوس" وسيلة للتعبير ومسهلًا للتواصل، وهو -حسب تفسير نيتشه- "الصورة الرمزية الوحيدة" التي قدّمها له التاريخ لهذا الغرض، وأصبح من الواضح مرة أخرى مدى الصعوبة التي وجدها نيتشه في التعبير عن نفسه وعن تجاربه الفكرية، ويظهر أيضًا أنه من الضروري البحث لإيجاد إجابة على سؤال من أو ما هو ديونيسوس بالنسبة له، تحديدًا في كتابات نيتشه الخاصة، في بادئ الأمر، بدا أن نيتشه قد تخلى عن هذا المجاز بعد "مولد التراجيديا"، ولكنه ظهر مرة أخرى في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"ما وراء الخير والشر"، كما يمكننا العثور على إشارات أخرى له في "أفول الأصنام" وبالطبع في "هذا هو الإنسان" نفسه، ربط نيتشه بوضوح في كتابه "هذا هو الإنسان" كتاباته الأخرى بالمصطلح الديونيسي، وينطبق هذا في المقام الأول على "هكذا تكلّم زرادشت": "إن هذا العمل فريد تمامًا، دعونا نستبعد الشعراء من اعتباري، دعونا نقول بأنه لا يوجد شيء قد تم إنتاجه بمثل هذه الوفرة من القوة، لقد أصبح مفهومي عن ديونيسوس هنا أعظم فعل". (221)

أشار نيتشه هنا إلى وضعه لمصطلح "ديونيسوس" قيد التنفيذ، ومن اللافت للنظر أن هذا "الفعل" نشأ على هيئة كتاب، يُعزى "علم أنساب الأخلاق" جوهريًا على الأقل إلى مجال ديونيسوس: "قد تكون المقالات الثلاث التي تُشكّل هذا العلم، فيما يتعلق بالتعبير والهدف وفنها الخاص غير المتوقع هي أعجب ما كُتب على الإطلاق، إن ديونيسوس كما تعرفون هو إله الظلام أيضًا". (222)

وفي نهاية المطاف، أسس نيتشه، من خلال علاقته بالموسيقى، علاقة تجمعه بديونيسوس في كتابه "قضية فاغنر": "حتى يمكن للإنسان أن ينصف هذا الكتاب، ينبغي عليه أن يعاني من قدر الموسيقى كما لو كان يعاني من جرح مفتوح، ما الذي أعاني منه وأنا أعاني من قدر الموسيقى؟ إنني أعاني بسبب حرمان الموسيقى من طابعها الإيجابي المجسد للعالم، وتحولت إلى منحطة، ولم تعد ناي الإله ديونيسوس".(223)

***

مولد التراجيديا:

يُمثل كتاب "مولد التراجيديا" وتعليقات نيتشه عليه في كتاب "هذا هو الإنسان" نقطة البداية الرئيسية لتوضيح معنى ديونيسوس، وصف نيتشه بدقة "فهم الظاهرة الديونيسية" كواحد من "الابتكارين المميزين" في مولد التراجيديا: "تُرجمت "فكرة" - التناقض بين مفهومي الديونيسي والأبولوني- إلى الميتافيزيقا، وجرى تناول التاريخ نفسه على أنه تطور لهذه الفكرة؛ ينصهر هذا التناقض في التراجيديا في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وحدة أرقى، ومن هذا المنظور تتواجه الأشياء التي لم يسبق لها رؤية بعضها بعضًا فجأة، والنتيجة أن كلًا منها يغدو مضاءًا ومفهومًا، الأوبرا والثورة على سبيل المثال، الابتكاران المميزان في الكتاب، هما: أولًا فهم الظاهرة الديونيسية عند الإغريق؛ [...] ويكمن الابتكار الثاني في فهم السقراطية [...]". (224)

يعد التناقض بين مفهومي "الديونيسي والأبولوني" مفهومًا رئيسيًا في مولد التراجيديا، في أعماله المبكرة، فسّر نيتشه التراجيديا اليونانية على أنها عمل فني ناجم عن التوتر الناتج عن هذا التناقض: "ينصهر هذا التناقض في التراجيديا في وحدة أرقى".

قدّم نيتشه كلًا من أبولو وديونيسوس كآلهة للفن اليوناني، مع إدراج الموسيقى ضمن الفن الديونيسي، ونظرًا لاهتمام أبولو البالغ بالموسيقى في الأساطير اليونانية، احتاج نيتشه إلى تفسير ذلك هنا: "كانت الموسيقى الأبولية عبارة عن بناء من الموسيقى "الدورية" تقدم في أشكال صوتية، لكن موحية كأصوات القيثارة، شكل العنصر المستبعد منها -بسبب اعتباره غير أبولي- الموسيقى الديونيسية، وبالتالي الموسيقى بشكل عام، النغمة القوية الصادمة والاندفاع الموحد للحن وكامل عالم الهارمونيا الذي لا يضاهى". (225)

وضح وصف نيتشه سبب تناقض هذه الموسيقى الديونيسية مع فن أبولو، حيث تحدّث نيتشه هنا عن النغمة القوية والتيار الموحد الذي يذيب الحدود، أمّا على الجانب الآخر بالنسبة للموسيقى الأبولية تحدّث نيتشه عن بناء معماري صارم، يخلق ملامح "الفن" الأبولي، الذي يظهر من خلال ترسيم الحدود، جمالًا للنسب وللقياسات، بينما تزيل الموسيقى الديونيسية الحدود وتسكر الإنسان: "إمّا كفنان أبولي حالم أو كفنان ديونيسي مُسكِر أو أخيرًا -على سبيل المثال كما في التراجيديا الإغريقية- يصبح فنانًا حالمًا وفنانًا مُسكِرًا في آن واحد [...]". (226)

***

شكر المُعاناة:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

استخدم نيتشه كلمة "السُكْر" كوسيلة مساعدة لفهم جوهر ديونيسوس، لأنّ القاسم المُشترك بينهما هو فقدان المِرء لنفسه في حالة السُكْر أو النشوة: "وبفعل تأثير المشروبات المخدرة التي تحدّث عنها جميع البشر وذكرتها المجتمعات البدائية في ترانيمهم، أو مع المجيء القوي للربيع، الذي يخترق الطبيعة بأكملها بمرحه، تنشط تلك الدوافع الديونيسية، وما أن تزداد قوة حتى تغدو النزعة الذاتية نسيانًا تامًا للذات". (227)

مستندًا إلى مصطلحات شوبنهاور، تحدّث نيتشه في أعماله الأولى عن "كسر مبدأ الفردانية"، وجد نيتشه مبررًا لهذا الارتباط بين ديونيسوس والانحلال المُسكِر لحدود الفردانية في "العربدة [من طقوس العربدة اللاتينية: الاحتفال الليلي بباخوس] كشعور يفيض بالحياة والقوة" في أساطير ديونيسوس اليونانية وأسرار اليوسيس، أي الاحتفالات الدينية في العصور القديمة.

"وفي الحقيقة، إن هذا البطل هو ديونيسوس المُعذب صاحب الأسرار، ذلك الإله الذي اختبر مُعاناة الفردانية، والذي تحكي عنه الأساطير الرائعة أن العمالقة مزقوه عندما كان صبيًا، وأنه في هذه الحال، أصبح مقدسًا مثل "زاغروس"، ويشير ذلك إلى أن عملية التمزق هذه، العذاب الديونيسي، تشبه التحول إلى الهواء، والماء، والأرض، والنار، وبالتالي ينبغي علينا أن نعتبر حالة الفردانية كمصدر وسبب لكل أنواع العذاب، كشيء يستحق الرفض في جوهره، من ضحكة ديونيس نشأت آلهة الأولمب، ومن دموعه نشأت البشرية، وبفضل حالته كإله ممزق، تمتع ديونيس بطبيعة مزدوجة، شيطان وحشي قاسٍ وحاكم رقيق وعادل [...]". (228)

تتجه تفسيرات نيتشه المبكرة لأساطير ديونيسوس في مولد التراجيديا نحو اتجاه معين، حيث ركز نيتشه على مُعاناة ديونيسوس، الذي يُمزق إلى العناصر الأربعة، وفسّر ذلك على أنه مُعاناة الفردانية، هدفت هذه التفسيرات إلى تعريف الديونيسي بالخلاص من هذه المُعاناة، والذي يتحقق من خلال إعادة توحيد هذا "العالم الممزق والمحطم" في سُكْر هذا الفن الديونيسي.

أعرب نيتشه لاحقًا عن أسفه لتأثر كتابه بالمصطلحات الفلسفية الخاصة بكانط

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وشوبنهاور وأكد على استقلاليته: "كم يؤسفني الآن أنني لم أمتلك الجرأة الكافية في ذلك الوقت بحيث أسمح لنفسي باستخدام لغتي الخاصة، في معالجة كل ما يتعلق بمثل هذه الأفكار الجديدة والابتكارات الخطرة، ذلك أنني قد سعيت بكل طاقتي للتعبير عن هذه التقييمات الجديدة بصيغ شوبنهاورية وكانطية، والتي كانت تتعارض بشكل جذري مع روح ذوق كلا الرجلين". (229)

والأهم من المصطلحات الفلسفية التي ينأى نيتشه بنفسه عنها هو أنه تراجعه فيما بعد عن تقييمه الإيجابي الأولي للظاهرة الجمالية في مولد التراجيديا ورفضه له باعتباره "ميتافيزيقا الفنان:" "إن العالم، في كل لحظة، هو فداء ناجح للإله، صاحب الرؤية المتغيرة والمتجددة دائمًا للوجود في أقصى حالات المُعاناة، والتناقض، والذي يعرف كيفية تأمين الفداء والخلاص لنفسه عن طريق الوهم فحسب، يمكن أن نعتبر ميتافيزيقا الفنان هذه بأكملها اعتباطية، وخاملة، وتعسفية، ولكن يكشف جوهرها عن روح مواجهة لكل التحديات والمخاطر من أجل معارضة التفسير الأخلاقي وأهمية الوجود بأكمله". (230)

ومع ذلك، عند تجاهلنا "ميتافيزيقا الفنان" والمصطلحات المقتبسة من كانط وشوبنهاور، سيبقى لنا خصائص ديونيسوس، والتي تناولها نيتشه في المقاطع اللاحقة من "مولد التراجيديا"، والتي لا يزال يتردد صداها بالفعل حينما يتحدّث نيتشه عن ديونيسوس في "هذا هو الإنسان".

مثّل ديونيسوس، الذي تمزق في الأسطورة إلى العناصر الأربعة، ديناميكية داخلية للوجود ممتعة ومؤلمة في آنٍ واحد، تؤدي هذه الديناميكية إلى ظهور أشكال مختلفة من الوجود، "من ضحكة ديونيس نشأت آلهة الأولمب، ومن دموعه نشأت البشرية"، ومع ذلك، تدمر نفس هذه الديناميكية ما أنتج منها: "[...] يجب أن يكون كل ما يولد على استعداد للهلاك المؤلم"، تمتع ديونيسوس "بطبيعة مزدوجة: شيطان وحشي قاسٍ وحاكم رقيق وعادل"، عبر المصطلح "ديونيسي" عن انسجام إيجابي مع هذه الديناميكية.

في كتاب "هذا هو الإنسان"، استشهد نيتشه بمقطع من كتاب "أفول الأصنام"،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الذي تُرجمت صيغه السابقة إلى أدق معنى لها: في كتابي "أفول الأصنام" صفحة ١٣٩ (231)عبرت عن اكتشافي لفكرة "التراجيديا" والمعرفة الاستنتاجية النهائية لماهية سيكولوجية التراجيديا، إجابة الحياة بنعم حتى في أغرب مشكلاتها وأكثرها صعوبة، إرادة الحياة والابتهاج بما لا ينضب فيها في التضحية بأعلى أنماطها، هذا هو ما أسميه الديونيسي، هذا هو ما أذكره على أنه جسر إلى سيكولوجية الشاعر التراجيدي، ليس من أجل التخلص من الخوف والشفقة وليس تطهيرًا للنفس من العاطفة الخطرة من خلال التحرر التام هذا هو فهم أرسطو الخاطئ عن التطهير، بل بالأولى أن تكون الرغبة الدائمة للصيرورة نفسها هي ما وراء الشفقة والخوف، تتضمن هذه الرغبة أيضًا الرغبة في التدمير، وبهذا المعنى يحق لي أن أعتبر نفسي أول فيلسوف تراجيدي، أي النقيض التام للفيلسوف المتشائم، قبلي لم يكُن هناك مثل هذا التحول للظاهرة الديونيسية إلى الشفقة الفلسفية، كان هناك نقص في الحكمة التراجيدية، لقد بحثت عبثًا عن علامات عنها حتى بين فلاسفة الإغريق العظام، أولئك الذين عاشوا في القرنين السابقين لسقراط، ولم يساورني الشك أبدًا بشأن هيراقليطس، الذي أشعر في حضرته عمومًا بأنني أكثر دفئًا وأكثر راحة، إن التأكيد على الهلاك والدمار هو العامل الرئيسي في الفلسفة الديونيسية [...]"(232).

إنّ التحول في اللهجة مقارنة بمولد التراجيديا واضح للغاية، لم يعد الأمر يتعلق بالخلاص الوهمي للوجود في سكْر ونشوة الفن الديونيسي، عندما تحدّث نيتشه عن "تحول الظاهرة الديونيسية إلى شفقة فلسفية"، فإن هذا التحول، لم ينضج في مولد التراجيديا إلا لمجرد شفقة جمالية، وعندما تم التحوّل بالكامل، شكّلت "إجابة الحياة بنعم حتى في أغرب مشكلاتها وأكثرها صعوبة" مركز "الفلسفة الديونيسية"، ولم تعد المظاهر الجمالية -باعتبارها مخدر يساعدهم على مواجهة الوجود- متاحة لهم، أصبح الأمر يتعلق بالواقع الملموس، دون أوهام.

***

التدخلات الخطرة:

تُعبّر صيغة نيتشه "الفيسلوف ديونيسوس" عن فلسفة تقبّل الحياة كما هي،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتتدخل في الوجود من خلال التجارب الفكرية لتعزيز تنوع أشكال الوجود المختلفة، ولكنها تتدخل فيه أيضًا بطريقة مُدمرة، إن تقبُّل الحياة كموقف فلسفي له نتيجتان رئيسيتان، لا يمكن أن نطالب الوجود بأن يكون كما ينبغي أن يكون، ولا يمكننا البحث عما هو عليه في الواقع والحقيقة، تختفي الأزواج الكلاسيكية المتناقضة، "لم يعد هناك أي واجب، لقد دمرت الأخلاق، بقدر ما كانت واجبًا، من خلال طريقتنا في النظر إليها كما ذمر الدين"(233)، لذلك، تُعبّر صيغة نيتشه "الفيلسوف ديونيسوس" عن رفض المعايير الأخلاقية والأفكار المثالية، واصل نيتشه التحدُّث عن هذا الصدد في تعليقاته على مولد التراجيديا في كتاب "هذا هو الإنسان": لقد كنت أول مَن رأى الاختلاف الجوهري، الغريزة المنحطة التي تنقلب ضد الحياة مع رغبة دفينة بالانتقام (المسيحية، فلسفة شوبنهاور وبمعنى ما من المعاني فلسفة أفلاطون -باختصار كل المثالية في أشكالها النمطية) باعتبارها معارضة لقبول الحياة الأشد تطرفًا والمتولدة من الوفرة- قبول دون قيد أو شرط للمُعاناة نفسها، للخطيئة، لكل ما هو مشكوك فيه وغريب في الوجود نفسه، هذه التلبية الأخيرة الأكثر فرحًا وامتلاءً وثراءً للحياة، ليست فحسب ذروة كل بصيرة، بل هي أيضًا أعمقها، والتي تلقي تأكيدًا ودعمًا شديدًا عندما يتعلق الأمر بالحقيقة والعلم [...]"(234).

أصبح تدخل "الفلسفة الديونيسية" في الحياة موضوعًا لتعليق آخر على "مولد التراجيديا"، تبدو صيغ نيتشه في هذه المرحلة مروعة على خلفية التاريخ الألماني اللاحق: "هناك أمل كبير يتردد في هذا العمل، ولا يوجد أي سبب قط يمكنه أن يجعلني أتخلى عن الأمل في مستقبل ديونيسي للموسيقى، دعوني أتنبأ لكم بما سيحدث بعد قرن، دعوني أفترض أن محاولتي لاغتيال ألفي عام من الشر والحط من شأن الإنسانية قد نجحت، إن ذلك الجانب الجديد من قبول الحياة، الذي سيأخذ على عاتقه أعظم مهمة على الإطلاق وهي رفع شأن الإنسانية، بما في ذلك التدمير التام لكل ما هو منحط وطفيلي، سيعيد تهيئة الحياة على الأرض، ومنه يجب أن تبزغ الحالة الديونيسية مرة أخرى، إنني أتنبأ بعصر تراجيدي جديد، أعلى فن لقبول الحياة، أي التراجيديا، والتي سوف يُعاد ولادتها عندما تغدو الإنسانية واعية بأن

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وراها أصعب الحروب وأكثرها ضراوة، دون أن تعاني منها". (235)

الآن من المناسب ألا نربط "رفع شأن الإنسانية" عند نيتشه بالتعصب العنصري أو الوطنية الألمانية: "لا، نحن لا نحب الإنسانية، غير أننا، من جهة أخرى، لسنا ألمانًا بما يكفي حتي نجعل من أنفسنا متحدثين باسم الوطنية والتعصب العنصري، حتى نبتهج بالعدوى الوطنية التي بفضلها تنعزل الشعوب في أوروبا عن بعضها بعضًا كما لو كانوا في الحجر الصحي"(236).

إنّ محاولة الاغتيال التي يأمل نيتشه في نجاحها هي كتاب "نقيض المسيح" (إعادة تقييم جميع القيم)، فهو لا يرغب في تدمير الأفراد بل في تدمير طبقة معينة: "ولا تزال هناك احتمالية أن الإنسانية ليست هي التي تنحط وتتدهور، بل ذلك النوع الطفيلي من البشر، الكاهن الذي اكتشف في الأخلاقيات المسيحية وسيلة للسلطة"(237).

وفي نهاية المطاف، يجب أن يُفهم مصطلح "التربية" عند نيتشه بالمعنى الأوسع للتطوير والتنشئة أو التعليم، يتمثل مصطلح "التربية" الفلسفية في خلق ظروف حياتية مواتية لنجاح أشكال الوجود الإنساني القابلة للحياة، تشمل مثل هذه الظروف الحياتية، كما وضح أحد مقاطع كتاب "ما وراء الخير والشر"، الأوضاع السياسية والاقتصادية أيضًا، ولكنها تشمل في المقام الأول القيم والتوجهات الدينية: "إن الفيلسوف، كما نفهمه، نحن الأرواح الحرة، بوصفه الإنسان الذي يتحمّل للمسؤولية الأشمل، ويحمل هم مجمل تطور وتنمية الإنسان، سيستخدم هذا الفيلسوف الأديان لأجل عمله التعليمي والتربوي، تمامًا كما يستخدم الأوضاع السياسية والاقتصادية السائدة".(238)

إن مصطلحي "الخالق" و"المدمر"، اللذين نسبهما نيتشه إلى صيغة الفيلسوف ديونيسوس، يشيران في المقام الأول إلى تغير القيم والمنظورات، استنادًا إلى اقتباس من "هكذا تكلّم زرادشت"، وصف نيتشه نفسه في "هذا هو الإنسان" بأنه "مدمر بامتياز" بمعنى تحطيم القيم: "ومَن أراد أن يكون خالقًا في الخير والشر،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عليه أولًا أن يكون مدمرًا ومحطمًا للقيم، ولذلك فإن أقصى شر ينتمي إلى أقصى خير، وهذا هو الخير الخلاق، أنني إفظع شخص وجد على الإطلاق، ولكن هذا لا ينفي حقيقة أنني سأكون الأكثر خيرًا وكرمًا، أعرف الرغبة في التدمير للدرجة التي تتناسب مع قوتي في التدمير، وفي كلتا الحالتين فإنني أطيع طبيعتي الديونيسية، التي لا تعرف كيف تفصل بين قول لا وقول نعم، أنا اللاأخلاقي الأول، لذلك أنا المدمر بامتياز".(239)

***

ديونيسوس كعالِم نفسي:

استنبط نيتشه في هذا السياق جانبًا آخر من "ديونيسوس" ينطوي على التأثير المتحول للإثارة الديونيسيية والذي سيتم تناوله هنا، يتعلق هذا الجانب بالقدرة على التعاطف ويرتبط بادعاء نيتشه بأنه "عالم نفسي" من الدرجة الأولى، يمكن لمقدمة مولد التراجيديا، المضافة عام ١٨٨٦، أن تكون بمثابة نقطة انطلاق مرة أخرى: "في الحالة الديونيسية، يتم إثارة النظام العاطفي بأكمله وتعزيزه، بحيث يفرغ جميع وسائل التعبير الخاصة به في لحظة واحدة ويطرح قوة العرض والتمثيل والتجلي والتحول وجميع أشكال التمثيل والتمثيل المسرحي في آنٍ واحد، ما يبقى ضروريًا هو سهولة التحول، والعجز عن التفاعل والقيام برد فعل (على غرار بعض الهستيريين الذين يقومون بأي دور عند أي إشارة)، من المستحيل ألا يفهم الإنسان الديونيسي أي إشارة، فهو لا يغفل عن أي علامة تدل على العاطفة، بل ويتمتع أيضًا بأعلى درجات الفهم والتخمين، كما أنه يتمتع بأعلى درجات فن التواصل، حيث ينغمس في كل جلد، وفي كل عاطفة: إنه يتحول باستمرار".(240)

يسمح التحول المستمر بتغيير المنظورات، إذ أنه لا يسمح باللعب بالأقنعة فقط - أي تغيير التأثير الخارجي- بل يسمح أيضًا بالبحث عن منظورات أخرى، والتعاطف مع منظورات الآخرين، وحينما وصف نيتشه نفسه بأنه "عالم نفسي"، كان يقصد بمعنى "غريزة الفهم والتخمين"، اقتبس نيتشه مقطعًا من كتاب "ما وراء الخير والشر" ووضعه في كتاب "هذا هو الإنسان" بعنوان "نيتشه العالم النفسي"، في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السياق الأصلي تحدّث نيتشه عن ديونيسوس، أما في "هذا هو الإنسان" طلب نيتشه من القُرّاء التخلي عن "التخمين" بشأن من يقصد وصفه في هذا المقطع، وبالتالي فقد ترك الباب مفتوحًا لقراءة مزدوجة للنص: فمن ناحية، يصف المقطع عبقرية التعاطف، ومن ناحية أخرى، فإن الحرية والدقة التي تعاطف بها نيتشه مع عبقرية التعاطف هذه تُعبّر عن درجة من التعاطف الشخصي لدرجة أنه من الواضح أن نيتشه نفسه يمكن أن يندمج معها: "من أجل أن تتمكنوا من تكوين فكرة ما عني كعالم نفسي، فإنني سأقتبس القطعة الفريدة التالية من التحليل النفسي الخاص بكتابي "ما وراء الخير والشر"، بالمناسبة إنني أمنعكم من محاولة تخمين الشخص الموصوف في هذه الفقرة: "إن عبقرية القلب التي يمتلكها ذلك الخفي العظيم، الإله المجرب وصائد الضمائر، الذي يعرف صوته كيف ينحدر إلى قرارة كل نفس، الذي لا ينطق بكلمة أو يلقي بنظرة إلا وانطوت على نية خفية بالإغراء، الذي يتعلق كماله بأنه يتقن الظهور، ليس بما هو عليه، بل بما يجبر أتباعه أن يلتصقوا به ويزدادوا قربًا منه أكثر من أي وقت مضى، لكي يتبعوه بمودة أشد وبشمولية أكبر، عبقرية القلب، التي تسكت كل ما هو صاخب وراضٍ، وتعلمنا أن نصغي، والتي تنعم النفوس الخشنة وتهديهم رغبة جديدة، رغبة بالسكون، مثل المرآة، حتى يمكن للسماوات العميقة أن تنعكس فيهم، عبقرية القلب التي تعلم اليد الحمقاء والمتسرعة التأني والرشاقة في القبض على الأشياء، التي تخمن الكنز الخفي والمنسي، قطرة الخيرية والروحانية العذبة تحت طبقات الجليد الكثيفة العكرة، والتي تخمن كل ذرة ذهب دفنت منذ أمد طويل في سجن الطين والرمل، عبقرية القلب التي تلمس المرء فيغدو أكثر ثراءً، فينصرف ليس منفصلًا، أو مندهشًا، وليس كمَن أغدقت عليه هبة أو نعمة على حين غفلة منه، بل كمَن صار أكثر ثراءً في نفسه وأكثر حدة عن ذي قبل، محطمًا، ومقذوفًا به في مهب ريح أكثر غموضًا، أكثر رقة، وأكثر هشاشة، كمَن صار مليئًا بآمال جديدة لا اسم لها بعد، مليئًا بجديد الإدارة والتيار، وجديد السخط والتيار المضاد"(241).

يتناقض هذا المقطع على نحو ملحوظ للغاية مع الصيغ العنيفة حول "رفع شأن الإنسانية" من خلال "التدمير التام لكل ما هو منحط وطفيلي"، من المدهش أن التعاطف الخفي لـ"عبقرية القلب"، التي تعرف كيف تعامل الجميع بطريقة تجعلهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"أكثر ثراءً"، ليست سوى "تربية أرقى"، بمعنى تربية أشخاص أكثر حيوية: في "ما وراء الخير والشر"، أتبع نيتشه المقطع المقتبس في "هذا هو الإنسان" بحوار قصير يثبت هذا التعريف المدهش: "قال لي ذات مرة: "في بعض الأحيان أحب الإنسان - وعندها كان يلمح إلى أريادن (حبيبته البشرية) التي كانت حاضرة- إن الإنسان هو حيوان لطيف وشجاع ومبتكر، ولا مثيل له على الأرض، وما من متاهة لا يجد فيها طريقًا له، أكن له الكثير من المودة، فغالبًا ما أفكر كيف يمكنني أن أعززه أكثر وأجعله أقوى وأشرس وأعمق مما هو عليه -أقوى وأشرس وأعمق؟- سألت بخوف - نعم، أجاب مرة أخرى، أقوى وأشرس وأعمق؛ بل وأجمل أيضًا- وابتسم الإله المجرب ابتسامته الهالكونية، كما لو كان قد تفوه بشيء ساحر". (242)

تُعبّر صيغة "الفيلسوف ديونيسوس"، أو ديونيسوس كفيلسوف عن مجموعة معقدة للغاية من أفكار نيتشه، حيث تتضمن تلك الأفكار سمات قاسية وصارمة قد تصل إلى حد التدخل المدمر في التاريخ، ولكنها تؤدي في النهاية إلى التعبير عن القبول المبتهج للوجود، والذي ينطوي على ابتعاد حاد عن المسيحية، والفلسفة المثالية بالمعنى الأعمق لها، والأخلاقيات المعاصرة، وبالرغم من ذلك، تشمل مجموعة الأفكار هذه أيضًا القدرة الخفية على التحول والتعاطف وفن التعبير المُتغير، تُظهر مقاطع كتاب "هذا هو الإنسان" أن نيتشه فكر في هذا التعقيد برمته عندما قرّر استخدم اسم ديونيسوس في صيغة "ديونيسوس ضد المسيح".

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل الحادي عشر

المسيح

سوء فهم تاريخي:

من خلال صيغة "ديونيسوس ضد المسيح"، وضع نيتشه "المسيح" في مواجهة "ديونيسوس"، في الواقع لم يتحدّث نيتشه عن المسيح أو المسيحيّة بشكل عام، ولكن هذا الاختلاف ضروري لفهم صيغته، وفي كتاب "نقيض المسيح"، اعتبر نيتشه حدث صلب المسيح بداية لسوء فهم تاريخي عالمي: "على العكس من ذلك، فإن تاريخ المسيحية -بدءًا من الموت فوق الصليب- هو تاريخ تطور سوء الفهم الفادح للرمزية الأصلية والذي يزداد فجاجة أكثر فأكثر، فمع كل توسع للمسيحية باتجاه جماهير أوسع وأكثر بدائية، كانت هناك حاجة ماسة ومتزايدة لتبسيط المسيحية، وتهجيمها، هكذا ابتلعت تعاليم وطقوس جميع المعتقدات السفلية في الإمبراطورية الرومانية، وتجرعت سخافة شتى أنواع العقول المريضة".(243)

شنّ نيتشه هجمات لا هوادة فيها على سوء فهم المسيحية هذا، واتهمه بالحكم على الحياة من منظور المضطهدين وبتشويهه لسمعة كل تطور قوي ورائع لإمكانيات الحياة البشرية، ينتهي "نقيض المسيح" بحكم قاسي للغاية على المسيحية: "الطفيلية كالممارسة وحيدة للكنيسة؛ بتعطشها للدماء، وبمثلها المقدسة، تتجرّع كل دم، وكل حب، وكل أمل في الحياة، والحياة الآخرة كإرادة نفي لكل واقع، والصليب كرمز لأكثر مؤامرة السرية نشأت على الإطلاق، ضد الصحة، والجمال، والرفاهية، والشجاعة، والروح، وصلاح الروح، وضد الحياة نفسها، سأكتب هذا الاتهام الأبدي للمسيحية على كل جدار، ولديّ من الحروف ما يجعل العميان مبصرين، أسمّي المسيحية باللعنة الكبرى، والفساد الداخلي الأكبر، وأكبر غريزة انتقام، والتي لا توجد بالنسبة لها وسيلة سامة، وسرية، وسفلية، وحقيرة بما فيه الكفاية، أسميها وصمة العار الخالدة على البشرية".(244)

أكّد نيتشه في كتابه "هذا هو الإنسان" أنه لا يرغب في مهاجمة المسيحيين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأفراد، بل المسيحية ككيان تاريخي: "إذا قمت بشن حرب على المسيحية، فإنني أفعل ذلك لأنني لم أعانِ من أي مصاعب أو عوائق من هذا الجانب، [...] إنني شخصيًا أكبر خصم للمسيحية، ولكنني بعيد كل البُعد عن أن أحمّل الأفراد مسؤولية ما يحدث بشكل حتمي منذ آلاف السنين".(245)

ولذلك، لم يكُن الهجوم الحاد على المسيحية في كتاب "نقيض المسيح" مفاجئًا، تتوافق اعتراضات وانتقادات نيتشه بسلاسة مع أعماله السابقة.

في كتابه "نقيض المسيح"، حاول نيتشه أن يشرح كيف ولماذا حدث سوء الفهم هذا، حيث قدّم سببين لذلك، السبب الأول يتعلق بشكل حاسم بالمنظور الذي تم من خلاله رؤية حياة المسيح وعمله، تحديدًا منظور تلاميذه الذين واجهوا موته العنيف: "ومنذ ذلك الحين ظهرت مشكلة سخيفة: "كيف يمكن لله بأن يسمح بذلك؟!"، وعلى الفور وجد العقل المشوش للجماعة الصغيرة جوابًا سخيفًا، لقد قدّم الله ابنه قربانًا للتكفير عن خطايانا، ولقد كانت تلك الإجابة ضربة قاضية وضعت حدًا للإنجيل دفعة واحدة! أضحية من أجل الغفران، وفي شكلها الأكثر وحشية وبشاعة، التضحية بالبريء من أجل التكفير عن خطايا المذنبين! يا لها من وثنية مفزعة! [...] من الآن فصاعدًا، ستدمج تدريجيًا التعاليم التالية داخل نمط المخلّص، تعاليم الحكم والعودة، وتعاليم الموت كأضحية، وتعاليم البعث التي بموجبها يتم طمس كل ما يتعلق بمفهوم "الغبطة" التي تمثل الواقع الوحيد والكلي للإنجيل لصالح حالة ما بعد الموت! لقد فسّر بولس هذا المفهوم منطقيًا، بفضل الوقاحة الحاخامية التي تميزه في كل شيء، إذا لم يبعث المسيح، فسيغدو إيماننا باطلًا، [...]". (246)

Telegram:@mbooks90

أمّا السبب الثاني فيتعلق بعمل بولس نفسه: "تلت رسالة البشرى السارة على الفور الرسالة الأسوأ على الإطلاق: رسالة بولس، تجسد في بولس، النمط المناقض لرسول البشرى [...] لقد كانت حاجته ومبتغاه هي القوة، مع بولس عاد القس مرة أخرى إلى إرادة القوة، لم يكُن بإمكانه سوى استخدام المفاهيم والتعاليم والرموز التي يمكن بها تسليط الطغيان على الجماهير وجعلهم قطعانًا". (247)

نشأت المسيحية التي أعلن نيتشه "الحرب" عليها -حسب وصفه- من سوء فهم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مزدوج، من صدمة التلاميذ ورغبة بولس في القوة.

***

نمط المُخلِّص:

من أجل فهم وتبسيط نشأة المسيحية بشكل أفضل، قدّم نيتشه أطروحة مفادها أنّ "النمط النفسي للجليلي (المسيح) [...] لا يزال من الممكن التّعرُّف عليه"، تُشير عبارة "النمط النفسي" إلى بدء نيتشه أحد مشاريعه التعاطفية المتقنة في "نقيض المسيح"، فهو يحاول تطبيق القدرة على "الانحدار إلى قرارة كل نفس" على المسيح "الجليلي"، إن ما اكتشفه نيتشه آنذاك مفاجئ للغاية، وفقًا لتفسير قدّمه فيرنر ستيغماير -الذي تدين له المقاطع التالية بمعلوماتها المهمة- رُبّما فوجئ نيتشه نفسه بالرؤى التي اكتسبها، بل وقد تكون هي عينها مَن ألهمته لتعديل تفسيره للحياة باعتبارها "إرادة للقوة".

وضع نيتشه تفسيره الخاص في مواجهة ما اعتبره تفسيرًا تاريخيًا خاطئًا، لقد بحث في الأناجيل عن أدلة لبحثه عن "النمط النفسي للمخلِّص": "يمكن أن يكون ذلك مضمنًا داخل الأناجيل رغمًا عن الأناجيل، وإن ورد في أغلب الأحيان مشوهًا أو مُثقلًا بملامح أجنبية" (248)، عثر نيتشه على نقطة انطلاق: "لا تقاوموا الشر، هذه هي المقولة الأعمق في الأناجيل، ومفتاحها بمعنى ما"(249)، استنادًا إلى ذلك، أعاد نيتشه تفسير نقطة بداية سوء الفهم، أي الصلب، والمسيح المصلوب: "مات هذا "المبعوث الصالح" مثلما عاش، ومثلما علّم، ليس "لينقذ الناس" بل ليبين لهم كيف ينبغوا أن يعيشوا، الممارسة هي ميراثه الذي تركه للبشرية: سلوكه أمام القضاة، أمام الجنود، أمام المتهمين والمشتكين عليه، وأمام كل أنواع الافتراء والازدراء، وبالطبع سلوكه فوق الصليب، إنه لا يقاوم، ولا يدافع عن حقوقه، ولا يتخذ أية خطوة تبعده عن الموت بل إنه يستدعيها ويتضرع ويعاني، ويحب أولئك الذين يسيئون إليه، كلماته الموجهة إلى اللص على الصليب تحتوي على الإنجيل كله؛ قال اللص عنه: حقًا كان رجلًا إلهيًا، ابنًا لله بحق، أجاب المخلّص، إذا آمنت بهذا بحق، فإنك ستكون في الجنة، وستكون أيضًا ابنًا لله، إنه لا يدافع عن نفسه، ولا يغضب، ولا يحمّل أحدًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المسئولية، ولم يقاوم الشر أبدًا، بل أحبه". (250)

شكّل حديث نيتشه عن "الممارسة" (نمط العمل) التي تركها المسيح للإنسانية، إحدى مفاجآت تفسيره، نيتشه، المهتم بشكل مركزي بقبول الحياة وثراء أشكال الوجود، يقبل طريقة المسيح في العيش والموت، تصبح صيغ "نقيض المسيح" أكثر وضوحًا شيئًا فشيئًا: "وإنه لمن الخطأ حد الجنون أن نرى في "إيمان"، كالإيمان بالخلاص عن طريق المسيح على سبيل المثال، العلامة المميزة للمسيحي، فالممارسة المسيحية، أي الحياة كما عاشها ذلك الذي مات فوق الصليب هي وحدها التي ينبغي أن نمسيها مسيحية، اليوم أيضًا ما تزال مثل هذه الحياة ممكنة، بل وضرورية لبعض الناس، فالمسيحية الأصلية الحقيقية ستظل ممكنة في كل زمان" (251)، قارن نيتشه هنا بين المسيحية التاريخية والمسيحية "الأصلية"، والتي ستظل "ممكنة" حتى بعد "اغتياله لألفي عام من الشر".

***

الرمزي الكبير:

تكمُن مفاجأة أخرى في مشاركة نيتشه للمسيح كلا من الحيوية والحرية وقبول الحياة، عبّر نيتشه عن كل هذا من خلال مصطلحه "الرمزية": "والشرط الأول لجعل هذا اللاواقعي يتكلم هو ألا تؤخذ أية كلمة من كلماته على ظاهر لفظها[...] ولعله يمكن للمرء، مع بعض من التسامح اللغوي، أن يعتبر المسيح روحًا حرة - فهو لا يعير اهتمامًا لأي شيء ثابت، الكلمة تقتل، كل ما هو ثابت يقتل، فالفكرة، والتجربة أي "الحياة"، كما يعرفها هو وحده، تنفر لديه من كل كلمة، أو صيغة، أو قانون، أو إيمان، أو عقيدة، إنه يتحدّث فقط عن الأشياء الباطنية العميقة: "حياة" أو "حقيقة" أو "نور" هي كلمته عن الباطني العميق، وكل ما عدا ذلك، الواقع برمته، والطبيعة بأكملها، واللغة نفسها، لا قيمة لها لديه سوى فيما تمثله كرمز أو كمثل، [...] تقف مثل هذه الرمزية بامتياز خارج كل ديانة، وكل مفاهيم العبادة، وكل تاريخ، وكل علوم طبيعية، وكل تجربة للعالم، وكل معرفة، وكل سياسة، وكل علم نفس، وكل الكتب، وكل فن، إن المعرفة مجرد حماقة خالصة والتي تجهل أن شيئًا من هذا القبيل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

موجود بالفعل، [...]". (252)

"الروح الحرة" و"تجربة الحياة" هيَ مصطلحات ليس لها صدى إيجابي في سياق كتابات نيتشه فحسب، بل دائمًا ما ترتبط أيضًا باللهجة المميزة لتفكيره، حتى صعوبة نيتشه، السابق ذكرها، في العثور على تعبير مناسب لحيوية أفكاره وتجاربه تتشابه على نحو ملحوظ هنا مع إحدى الجمل الواردة في الاقتباس السابق: "الكلمة تقتل، كل ما هو ثابت يقتل".

تبدأ "رمزية" يسوع بالطابع المشابه للمثل في "تعاليمه"، والتي تمتنع عن التحول إلى قوانين وعقائد: "لا قيمة لها لديه سوى فيما تمثله كرمز أو كمثل"، "إنه (المسيح) يتحدّث فقط عن الأشياء الباطنية العميقة"، هنالك تشابه مذهل هنا مع المقطع الخاص بشرح نيتشه "لفن أسلوبه" في كتاب "هذا هو الإنسان": "إن معنى كل أسلوب هو نقل حالة، أو توتر داخلي للشحن من خلال الرموز، بما في ذلك إيقاع هذه الرموز".

"إذا كنت أفهم شيئًا عن هذا الرمزي الكبير، فسيكون ما أفهمه هو أنه أخذ الوقائع الباطنية فقط "كحقائق"، وأن كل ما عدا ذلك، أي كل ما هو طبيعي، وزمني، ومكاني، وتاريخي، لا يمثل في فهمه إلا كرموز، وكفرصة للأمثال، لا يمثل مفهوم "ابن الإنسان" شخصًا ملموسًا ينتمي إلى التاريخ، شيئًا فرديًا، فريدًا، بل واقعًا "أبديًا" ورمزًا نفسيًا منفصلًا عن المفهوم الزمني، ينطبق الأمر نفسه مرة أخرى، وبمعنى أسمى، على "إله" هذا الرمزي النموذجي، وعلى "ملكوت الله"، و"ملكوت السماوات"، و"أبوية الله".[...] تعبر كلمة "الابن" عن ولوج ذلك الشعور بتجلي كامل الأشياء (النعيم)، أمّا كلمة "الأب" فهي ذلك الشعور نفسه، الشعور بالأبدية، والكمال".(253)

***

المُنحط الأكثر إثارةً للاهتمام:

إنّ الصورة التي رسمها نيتشه للمسيح تجعل قدرته على "تسييل" الواقع المعاش، الذي يختبره من خلال وجهات النظر المُتغيرة ووسائل التعبير المُتغيرة، أكثر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

راديكالية، تكمُن هذه الراديكالية في التفرد الذي يتجاوز به "الباطني" الحقيقة، أي في الانعزال عن الخارج، لوصف شخص ظل عنيدًا تمامًا ومنغلقًا على "باطنه"، تحدّث نيتشه عن المسيح باعتباره "أبلهًا": "وإذا تحدثنا بصرامة الفسيولوجي، فإن كلمة مُغايرة تمامًا ستكون أكثر ملاءمة هنا: كلمة أبله، [...] كاتخاذ موطن في عالم لم يعد يمسه أي درب من دروب الواقع" (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص 200)، ومن المُثير للدهشة أنّ هذا لا ينبغي أن يُقرأ كاعتراض، بل كأسلوب حياة (بالنسبة لنيتشه)، وما يغدو مرئيًا في المسيح هو "الغريزة العميقة التي تحدد للإنسان كيف ينبغي أن يعيش لكي يشعر بأنه "في ملكوت السماوات"، ولكي يشعر بأنه "خالد"، بينما لا يستطيع الإنسان البتة أن يشعر بنفسه في "ملكوت السماوات" إذا ما عاش بأي طريقة أخرى، ذلك وحده هو الواقع النفسي "للخلاص"، تحول جديد، وليس عقيدة جديدة". (254)

كتب نيتشه من قبل عن هذا الشكل من "الخلاص": "إنني أسميها (تعاليم الخلاص) تطورًا ساميًا لمذهب المتعة على قاعدة مرَضية تمامًا" (255)، خصص مصطلح "مرَضي" مكانًا محددًا "لنمط المُخلص" ضمن مصطلحات نيتشه في كتاب "نقيض المسيح" وأيضًا في "هذا هو الإنسان": المسيح "منحط"، عبّر نيتشه عن ذلك بكل وضوح، إنه يعتبر المسيح بمثابة "المنحط الأكثر إثارةً للاهتمام": "علينا أن نأسف لعدم عيش واحد من نوع دوستوفيسكي بالقرب من هذا المنحط الأكثر إثارةً للاهتمام، أعني شخصًا يعرف بالضبط كيف يشعر بالجاذبية الأخاذة لذلك المزيج من المقدس والمرَضي والصبياني".(256) .

***

---

(1) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية للرسائل، المجلد الثامن، ص ٤٧١، رسالة إلى باربرا سليس، ١٤ نوفمبر ١٨٨٨)

(2) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الخامس، ص ٥٧ وما يليها)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(3) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية للرسائل، المجلد الثامن، ص ٤٦٤، رسالة إلى قسطنطين جورج ناومن، ٦ نوفمبر ١٨٨٨)

(4) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية للرسائل، المجلد الثامن، ص ٤٧٠، رسالة إلى باربرا سليس، ١٤ نوفمبر ١٨٨٨)

(5) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٦٩)

(6) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد التاسع، ص ٦٤٢)

(7) (انظر إلى كتاب دراسات نيتشه، المجلد الأول، ص ٣٨٩)

(8) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الثالث عشر من ص ٦١٥ إلى ص ٦٣٢)

(9) انظر إلى كتاب دراسات نيتشه، المجلد الأول، ص ٣٨٦ وما يليها

(10) انظر إلى كتاب دراسات نيتشه، المجلد الأول، ص ٣٨٩

(11) انظر إلى كتاب دراسات نيتشه، المجلد الأول، ص ٤٠٢

(12) انظر إلى كتاب دراسات نيتشه، المجلد الأول، ص ٤٠٢

(13) انظر إلى كتاب دراسات نيتشه، المجلد الأول، ص ٤٠٢

(14) انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٦٨

(15) انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية للرسائل، المجلد السادس، ص ٢٧٦، رسالة إلى فرانس أوفيربيك، ١٠ نوفمبر ١٨٨٢

(16) انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية للرسائل، المجلد السادس، ص ٢٤٧، رسالة إلى لو سالومي، نهاية أغسطس ١٨٨٢

(17) انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية للرسائل، المجلد السادس، ص ٢٥٦،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رسالة إلى فرانس أوفيربيك، ٩ سبتمبر ١٨٨٢)

(18) انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية للرسائل، المجلد السابع، ص ٢٥، رسالة إلى إليزابيث نيتشه، منتصف مارس ١٨٨٥

(19) (المرجع نفسه

(20) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٦٨)

(21) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٦١)

(22) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٦٠)

(23) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الثالث عشر، ص ٦١٥)

(24) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الثالث عشر، ص ٦٣٤ وما يليها)

(25) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٢٥).

(26) (المرجع نفسه)

(27) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٩٠).

(28) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الثالث عشر، ص ٦٣٢).

(29) (المرجع نفسه، ص ٦٣٤)

(30) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الثالث، ص ٥٥٢ وما يليها).

(31) (إنجيل يوحنا ٣٧:١٨)

(32) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٦٥).

(33)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(34) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٥٧)

(35) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٦٥)

(36) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٦٤)

(37) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٦٣).

(38) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية للرسائل، المجلد الثامن، ص ٤٦٣ وما يليها، رسالة إلى قسطنطين جورج ناومن، ٦ نوفمبر ١٨٨٨).

(39) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٥٥).

(40) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية للرسائل، المجلد الثامن، ص ٤٦٢، رسالة إلى بيتر غاست، ٣٠ أكتوبر ١٨٨٨).

(41) (المرجع نفسه).

(42) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٦٨)

(43) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٦٣).

(44) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية للرسائل، المجلد الثامن، ص ٤٥١، رسالة إلى بيتر غاست، ١٤ أكتوبر ١٨٨٨).

(45) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية للرسائل، المجلد الثامن، ص ٤٣٣، رسالة إلى فرانس أوفيربيك، ١٤ سبتمبر ١٨٨٨)

(46) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية للرسائل، المجلد الثامن، ص ٤٤٤، رسالة إلى بيتر غاست، ٢٧ سبتمبر ١٨٨٨).

(47) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية للرسائل، المجلد الثامن، ص ٤٥٣، رسالة إلى فرانس أوفيربيك، ١٨ أكتوبر ١٨٨٨).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(48) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية للرسائل، المجلد الثامن ٤٥٥، رسالة إلى فرانسيسكا نيتشه، ١٩ أكتوبر ١٨٨٨).

(49) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية للرسائل، المجلد الثامن، ص ٤٦٧، رسالة إلى بيتر غاست، ١٣ نوفمبر ١٨٨٨).

(50) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية للرسائل، المجلد الثامن، ص ٤٦٢، رسالة إلى بيتر غاست، ٣٠ أكتوبر ١٨٨٨).

(51) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية للرسائل، المجلد الثامن، ص ٤٦٤، رسالة إلى قسطنطين جورج ناومن، ٦ نوفمبر ١٨٨٨).

(52) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٥٨).

(53) (المرجع نفسه، ص ٢٥٧).

(54) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٥٨).

(55) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الثالث، ص ٥٢١).

(56) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الثالث، ص ٥٥٣).

(57) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الخامس، ص ١٢).

(58) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٦٠).

(59) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٥٩).

(60) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الحادى عشر، ص ٨٣).

(61) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٦٦).

(62) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٧١ وما يليها)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(63) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٦٥).

(64) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٦٢).

(65) الساتير (باليونانية: σάτυρος) في الأساطير اليونانية هو ذكر من القوات المصاحبة لإله المراعي والصيد البري والأحراش بان وديونيسوس إله الخمر عند الإغريق القدماء وملهم طقوس الابتهاج والنشوة. الساتير له ملامح تشبه ملامح (الماعز)، بما في ذلك ذيل الماعز وآذان الماعز.

(66) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٥٨).

(67) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الثالث، ص ٦١٣).

(68) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٨٥).

(69) (المرجع نفسه، ص ٢٩٨).

(70) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٥٧).

(71) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٦٣)

(72) (وفقًا لديوجانس اللايرتي، المجلد الأول، ص ١٢).

(73) (انظر إلى كتاب الدفاع لأفلاطون، ص ٢٠ وما يليها)

(74) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٦٥)

(75) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الأول، ص ١٢).

(76) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٦٨).

(77) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٦٨).

(78) (المرجع نفسه)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(79) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٦٤)

(80) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٦٤).

(81) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٦٦).

(82) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٦٥ وما يليها).

(83) (انظر إلى ملاحظات مازينو مونتيناري، ص ٦)

(84) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الثالث عشر ص ٢٦٥، بعنوان "مفهوم الانحطاط")

(85) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الثالث عشر، ص ٢٥٥ وما يليها).

(86) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٦٥).

(87) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٦٥).

(88) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٦٦).

(89) (المرجع نفسه، ص ٢٧٥).

(90) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٦٦)

(91) (المرجع نفسه).

(92) (المرجع نفسه)

(93) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٦٦).

(94) (المرجع نفسه)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(95) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٦٥).

(96) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٦٧).

(97) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية،المجلد السادس، ص ٢٦٧).

(98) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الثالث، ص ٣٤٩ وما يليها).

(99) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٦٦).

(100) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٢٢).

(101) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٢٤).

(102) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الثاني، ص ٣٣(.

(103) (المرجع نفسه)

(104) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٦٧)

(105) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الثاني، ص ١٥)

(106) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٦٧).

(107) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الثالث عشر ص ٢٦٤ وما يليها)

(108) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٦٥)

(109) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٦٤).

(110) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٩٥).

(111) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٨١)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(112) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٩١).

(113) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٧٩).

(114) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الخامس، ص ٦١)

(115) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٦٧)

(116) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٩٥ وما يليها).

(117) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٧٨).

(118) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٧٨ وما يليها).

(119) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الثامن، ص ٥٠٥).

(120) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٩٢).

(121) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الثالث، ص ٤٠٦ وما يليها).

(122) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٩٣).

(123) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٩٣).

(124) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٩٣ وما يليها).

(125) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الثالث، ص ١٠٨ وما يليها).

(126) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٩٤).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(127) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الثالث، ص ٥٩٠ وما يليها)

(128) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الثالث، ص ٥٩٠)

(129) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الثالث، ص ٥٩١ وما يليها)

(130) (المرجع نفسه)

(131) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الثالث، ص ٥٩٢).

(132) (المرجع نفسه).

(133) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الثالث، ص ٥٩٣).

(134) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة، المجلد السادس، ص ٢٧٩).

(135) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٧٩ وما يليها).

(136) (انظر إلى سفر تكوين، ٢:١)

(137) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية للرسائل، المجلد الثالث، ص ٥٧ وما يليها، رسالة إلى كارل فون غيرسدورف، ٢٨ سبتمبر ١٨٦٩).

(138) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٨١).

(139) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٢٦).

(140) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٨٤ وما يليها).

(141) (المرجع نفسه)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(143) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية للرسائل، المجلد الثامن، ص ٤٩٢، رسالة إلى بول ديوسن، ٢٦ نوفمبر ١٨٨٨).

(144) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية للرسائل، المجلد الثامن، ص ٢٦٤، رسالة إلى بيتر غاست، ٢٦ فبراير ١٨٨٨).

(145) (انظر إلى كتاب دراسات نيتشه، المجلد الثالث عشر، من ص ٣٢٥ إلى ص ٣٣١).

(146) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٩٠)

(147) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣١٣).

(148) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٥٧).

(149) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٠٢).

(150) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٠١).

(151) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٠٤)

(152) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٠٤).

(153) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٠٤).

(154) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٢٩).

(155) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٢٩).

(156) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٣٢).

(157) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٥٤).

(158) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٥٤).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(159) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٥٢).

(160) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٣٥).

(161) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الأول، ص ٤٩).

(162) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٣٩ وما يليها).

(163) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٤٨).

(164) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٥٩).

(165) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣١٤).

(166) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٤٣١)

(167) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الثالث، ص ٣٤٥)

(168) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الثالث، ص ٥٢١)

(169) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٢٣)

(170) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٤١ وما يليها).

(171) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٦٤).

(172) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٤٨).

(173) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٣٥).

(174) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣١٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(175) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد التاسع، ص ٤٩٨).

(176) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الثالث، ص ٥٧٠).

(177) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد التاسع، ص ٤٩٨).

(178) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٤٤).

(179) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٣٦ وما يليها).

(180) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٣٧).

(181) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، من ص ٣٣٧ إلى ص ٣٣٩).

(182) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٠٠).

(183) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٦١)

(184) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٣٠).

(185) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٣٠).

(186) (مذكرات نيتشه، انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد التاسع، ص ٤٩٨).

(187) (انظرإلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٠٥).

(188) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٦٥ وما يليها).

(189) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الخامس، ص ٣١ وما يليها).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(190) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الخامس، ص ١٧٠).

(191) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ١٤٥).

(192) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية للرسائل، المجلد السابع، ص ٢٥٨، رسالة إلى مالفيدا فون مايزنبورغ، ٢٤ سبتمبر ١٨٨٦).

(193) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٦٧).

(194) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٦٦).

(195) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الخامس، ص ٥١)

(196) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الثالث، ص ٦٠٠).

(197) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الثالث، ص ٥٧٧).

(198) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٧٣).

(199) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٦٧ وما يليها).

(200) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٦٨).

(201) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٦٩)

(202) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٧٠).

(203) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٧٠).

(204) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٩٧).

(205) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٦٢).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(206) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٣٠)

(207) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الأول، ص ١٥٦)

(208) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الثاني، ص ٣٦٣)

(209) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الثاني، ص ٧٠٤).

(210) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الثالث، ص ٥٧١).

(211) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ١٦٠)

(212) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٥٣).

(213) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الثاني، ص ٥٣٤)

(214) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الخامس، ص ٢٤٠).

(215) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٧٤)

(216) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٥٧ وما يليها).

(217) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الثالث عشر، ص ٦١٣)

(218) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الخامس، ص ٢٣٨).

(219) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الأول، ص ١٩).

(220) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣١١).

(221) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٤٣).

(222) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٥٢).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(223) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٥٧).

(224) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣١٠).

(225) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الأول، ص ٣٣).

(226) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الأول، ص ٣٠).

(227) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الأول، ص ٢٨).

(228) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الأول، ص ٧٢).

(229) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الأول، ص ١٩).

(230) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الأول، ص ١٧).

(231) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ١٦٠)

(232) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣١٢ وما يليها).

(233) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الثاني، ص ٥٤)

(234) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣١١ وما يليها).

(235) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص٣١٣).

(236) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الثالث، ص ٦٣٠).

(237) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٧٢).

(238) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الخامس، ص ٧٩).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(239) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٦٦).

(240) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ١١٧ وما يليها).

(241) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٣٠٧ وما يليها).

(242) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد الخامس، ص ٢٣٩).

(243) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة:طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٠٩).

(244) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٥٣).

(245) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٧٥(.

(246) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢١٤ وما يليها).

(247) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢١٥(.

(248) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ١٩٩)

(249) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٠٠)

(250) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، صفحة ٢٠٧).

(251) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢١١)

(252) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٠٣ وما يليها).

(253) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٠٦).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(254) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٠٦).

(255) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٠١)

(256) (انظر إلى كتاب الأعمال الكاملة: طبعة الدراسة النقدية، المجلد السادس، ص ٢٠٢)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner